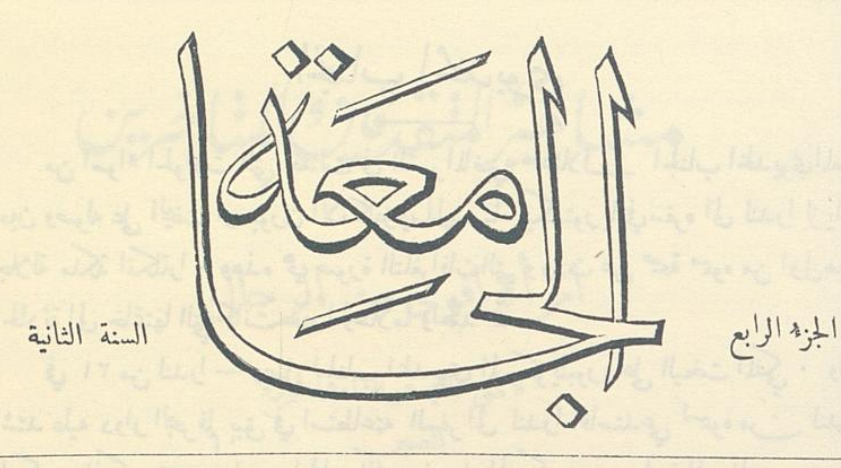


الجزء الرابع السنة الثانية

الاسكندرية ١ لوليو (تموز) سنة ١٩٠٠ الموافق ٤ ربيع اول سنة ١٣١٨



سمو الجناب الخديوي عباس باشا حلمي

الجناب الخديوي

من اسواء الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اعتلال الجناب الخديوي المعظم حين وصوله على اليخت اوسبورن الانكليزي الى ميناء فيكتوريا في سفره الى لندرا لزيارة جلالة ملكة انكلترا . وهذه هي صورة التلغرافات التي وردت عن صحة سموه من اول هذه الحادثة الى خاتمتها التي كانت خيراً وسلاماً والحمد لله

في ٢١ من لندرا — وصل الجناب الخديوي الى كوينبورو على اليخت الملكي . وقد اشتد عليه دوار البحر فلم يبق في استطاعته السفر الى لندرا فاستدعي لسموه من لندرا الدكتور فليكس سيمون طبيب الحلق الشهير فوصل الى كوينبورو على قطار خاص

في ٢١ من لندرا — كان الجناب العالي معتل الصحة من ألم في حلقه قبل ركوبه اليخت اسبورن . ولكن اشتد عليه الالم مدة السفر وشاع انه قد ظهرت فيه اعراض الدفتيريا وقد بقي سموه في اليخت وسيعود الدكتور سيمون غداً لعيادة سموه

في ٢٢ من لندرا — صرف الجناب الخديوي المعظم ليله في حالة حسنة . وهذه صورة النشرة الصحية التي صدرت عن صحة سموه « لا يستطيع الجناب الخديوي ان يستانف سياحته وزيارته الا بعد مدة قليلة . وسموه يشكو المًا في الحنجرة سببه التهاب فيها »

في ٢٣ من لندرا — صورة تلغراف من عزتلو شفيق بك الى عطوفتلو مصطفى باشا فهمي القائم مقام الخديوي . « ابشركم بغاية السرور ان الفحص البكتريولوجي اثبت ان المرض التهاب عفني بسيط مسبب عن (الستربتوكوك) لا يدعو الى القلق مطلقاً انما يلزمه راحة بضعة ايام . والجناب العالي يشعر اليوم بتحسن في صحته وهو محاط بجميع اسباب الراحة والعناية » والاهتمام وممتن على الخصوص مما اظهرته جلالة الملكة والعائلة الملوكية من حسن الانعطاف والرعاية

في ٢٥ من لندرا — امضى الجناب العالي ليله في حالة احسن وحرارته تنازلت الى الدرجة الاعتيادية . وقد دخل سموه في دور النقاهة ولذلك لا تصدر بعد الآن نشرة صحية عن صحة سموه

في ٢٦ من لندرا — يسافر الجناب العالي الى لندرا غداً صباحاً

في ٢٧ من لندرا — وصل الجناب العالي الى هنا فاستقبل في محطة شرينغ كروس باكرام عظيم وسار بعد وصوله الى قصر بكنهام يصحبه جناب الدوق دي يورك . وسموه في صحة جيدة وليس من اثر للمرض في وجه سموه

الجامعة — فنحن نحمد الله على سلامة سمو الامير المعظم دام محروساً بعناية الله تعالى بمنه وكرمه

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

امرأة اقوى من الرجال

"سي تاي هو" امبراطورة

الصين

هي خالته لا امه · تغزل شاعر صيني · قبضها على ازمة المملكة للمرة الاولى · موت الامبراطور ابنها · خلفه وتاثير سياسته · نفوذ الاجانب في الصين قبل سنة ١٨٩٣ · حرب اليابان · الامبراطور غيليوم مصور · مبدا الاستيجار الى ٩٩ سنة · امبراطورة تصفع امبراطور · قبضها على ازمة الملك للمرة الثانية · تاثير سياستها · البوكسرية · ثير البوكسريين · الطرفان متشابهان · مستقبل الصين · فوائد للشرقيين

ولو كان النساء نظير هذي لضاق الناس ذرعاً بالنساء

خير ترجمة نصدر الجامعة بها في هذا الشهر ترجمة الامبراطورة «سي تاي هو» امبراطورة الصين التي يتهمها الاوروبيون اليوم بانها هي التي اثارت الصينيين عليهم فقاموا يذبحونهم ويحرقون منازلهم ومعابدهم ليطردوهم من بلادهم · وغرضنا من نشر ترجمتها ذكر ما يهم ذكره عنها وعن المسالة الصينية التي اتجهت اليها جميع الانظار في الايام الاخيرة ولا يُعرف كيف تكون خاتمتها فنقول

﴿ ترجمة الامبراطورة ﴾ ولدت الامبراطورة الحاضرة في سنة ١٨٣٤ فعمرها اليوم ٦٦ سنة وابوها مرشال من التتر وكان له ابنة اخرى غيرها فرباها تربية اهلتهما لان تكونا زوجتين لاميرين فاقترنت الامبراطورة بالامبراطور " هن فونغ " الصيني وذلك في سنة ١٨٥٠ واقترنت اختها بامير من الاسرة الصينية المالكة يدعى البرنس " شوين " وهو والد الامبراطور الشاب الحالي · فالامبراطورة الحاضرة الآن هي خالة الامبراطور الشاب لا امه كما يظن كثيرون

ولما اقترنت الامبراطورة بالامبراطور " هن فونغ " سنة ١٨٥٠ لم تدخل الى قصره

كامبراطورة وزوجة اولى لان هذا الامبراطور كان مقترناً بامرأة تدعى « تنغ تاي هو » التي كانت هي الامبراطورة بل دخلت كزوجة ثانية . ولكن من حسن حظ هذه ان الامبراطور لم يولد له غلام من زوجته الاولى وفي شرائع الصين ان الامبراطور الذي لا يولد له غلام بعد ارتقائه الى العرش بخمسة اعوام فانه يجب عليه ان يُعين ولياً لعهده او ان البلاط يعينه فاغنته عن ذلك زوجته الثانية اذ ولدت له غلاماً فجعله ولياً لعهده وابناً لزوجته الاولى الامبراطورة لا لامه الحقيقية . ومع ذلك فقد اشتركتا كلتاهما بتربيته والقيام عليه

ولما ولدت الزوجة الثانية الغلام للامبراطور لقبها الصينيون « تسي هي » اي المحسنة الشفوقة سروراً بولي عهدهم وسميت حينئذٍ الامبراطورة « سي تاي هو » وهو الاسم الذي تُعرف به

وكانت « سي تاي هو » بارعة الجمال في شبابها . واليك خلاصة ما قاله فيها احد شعراء الصينيين متغزلاً

« قدها اهيف وجسمها ناعم كانه عنق البطة السابحة على وجه الماء . وجهها الجميل مستطيل ينتهي بذقن مستطيلة ويبتدئ بجبين واسع صبوح مستدير كنصف قوس . انفها ظريف دقيق مستقيم يتحرك حين التأثر والانفعال . عيناها سوداوان تضيئان وجهها »

ويروي كتاب الغرب عن هذه الامبراطورة روايات عجيبة غريبة . منها ان الامبراطورة كانت تصرف ايامها في الرياضة البدنية لتقوية جسمها فتلاكم المقربين اليها الملاكمة المعروفة بلعبة « البوكس » وتصرعهم على الارض برفسهم بقدمها على طريقة « الرفس بالاقدام » وهي لعبة فرنسوية تقابل لعبة البوكس الانكليزية

ومنها ان الامبراطورة كان لها مقربون تضعهم منها باسمى مكانة كالبرنس « كنغ » الذي كانت تحبه وهو اخو زوجها وكان هذا البرنس شديد الغيرة عليها حتى انه فتك يوماً من الايام برئيس الخصيان في القصر لسوء ظنه به

ولما توفي الامبراطور زوجها اوصى بالملك لابنها « تنغ تشي » الذي كان ولياً للعهد كما قدمنا . الا انه عين قبل وفاته مجلساً للوصاية عليه واخرج زوجتيه الامبراطورتين من هذا المجلس . فساء ذلك الامبراطورة ام ولي العهد . فتركت الوزراء ورجال الدولة حتى عادوا من دفن الامبراطور وامرت بالقاء القبض على جميع الذين عُينوا للوصاية على ابنها ثم ضربت رقابهم جميعاً الا واحداً اماتته تسميماً وجعلت نفسها مع الامبراطورة ضرتها

وصيتين على الامبراطور ابنها

وفي سنة ١٨٧٣ ادرك الامبراطور ابنها سن البلوغ فازوجته ونادت به امبراطوراً ولكن ما لبث ان توفي باقبح الامراض لشدة افراطه في الملاذ وتوفيت زوجته بعده فشاع ان الامبراطورة سممتها لتستأثر بالملك

وبعد موت ابنها زعمت انها سمعت من فمه وهو يجود بنفسه انه يوصي بالملك من بعده لابن خالته الامير «كنغ سو» وهو ابن اختها الامبراطور الحاضر فنودي به امبراطوراً وكان عمره حينئذٍ ٣ سنوات فجعلت الامبراطورة نفسها وصية عليه وعينت السياسي الصيني الشهير «لي هنغ شنغ» وزيراً اول لها

وفي مدة هذه الوصاية توفيت ضرتها الامبراطورة الاولى وقيل انها ماتت تسميماً ايضاً وما زالت الامبراطورة سي تاي يو متولية زمام الاحكام حتى بلغ الامبراطور سن الرشد في سنة ١٨٨٩ فاستلم ازمة المملكة

﴿ الامبراطور وسياسته ﴾ وكانت الصين لا تزال الى هذا العهد مرهوبة الجانب لانها مملكة متسعة الارجاء يسكنها اكثر من اربعمائة مليون من النفوس. وكان نفوذ الاجانب فيها محصوراً وهو بين ثلاث دول : روسيا وفرنسا وانكلترا . اما انكلترا فانها حاربتها في سنة ١٨٣٩ لاجبارها على اباحة تجارة الافيون في بلادها وهي الحرب المعروفة بحرب الافيون فنالت انكلترا بهذه الحرب بموجب معاهدة نتكين السيادة على جزيرة هنغ كنغ وفتح موانىء صينية للتجارة الاوربية . ثم حاربتها حرباً اخرى بمساعدة فرنسا وذلك في سنة ١٨٦٠ فزادت تجارتها في الصين تعزيزاً دون ان تستفيد فرنسا شيئاً من هذه الحرب وكان ذلك في عهد نابوليون الثالث

واما روسيا فانها من غير حرب ولا قتال احتلت جميع الاراضي الواقعة على حدودها عند نهر «امور» ثم احتلت وادي «ابلي» عند ثورة مسلمي الصين فيه على الحكومة الصينية فاعدت بذلك الطريق لسكة سيبيريا الحديدية

واما فرنسا فانها هاجمت جنوب الصين واقتطعت منها «التونكين» و «انام» التي كانت تابعة للصين ثم عقدت معها في سنة ١٨٨٥ معاهدة تعرف بمعاهدة تيينتسين نالت فرنسا بموجبها امتيازات تجارية في ولايات كنغ تنغ وكنغ سي ويونان وهي الولايات المتاخمة لاملاكها في الاقطار الصينية . فقامت انكلترا يومئذٍ وطلبت مكافأة لهذه الامتيازات فاعطيت اراضي من اراضي ولاية يونان لاصلاح تخوم املاكها في برمانيا

ومُنحت ايضاً امتيازات تجارية في شرقي يونان وسي كنغ

هذا كل ما كان من نفوذ الاجانب في الصين الى سنة ١٨٩٣ قبل الحرب الصينية اليابانية . وكانت الدول الاوربية تنظر يومئذٍ الى الصين بعين الحذر والاتقاء لضخامتها وكثرة سكانها : حتى ان الامبراطور غليوم رسم يوماً من الايام وهو الرسام البارع رسماً يمثل الصين في هيئة وحش عظيم قد هاجم اوربا وطمس تمدنها كما طمس البرابرة تمدن رومة في القديم وكتب تحت هذا الرسم « الخطر الاصفر » يعني انه يُخشى من ان يهجم الصينيون في المستقبل وهم مئات ملايين على اوربا فيستولوا عليها و يبيدوا تمدنها

ولكن الضعف الذي اظهرته الصين في حربها الاخيرة مع اليابان سنة ١٨٩٤ ازالت مهابتها من نفوس الدول ودلت على سوء سياسة الامبراطور الذي قبض على ازمة الاحكام في سنة ١٨٨٩ كما قدمنا . وقد تداخلت فرنسا وانكلترا وروسيا في تلك الحرب فمنعن اليابان من ان تنال ما تريده من الصين وجعلنها تخلي وي هاي واي وبور ارثر بعد احتلالها وتكتفي بالسيادة على جزيرة فرموزه الكبرى . غير ان هذه الدول الثلاث مقابلة مساعدتها الصين هذه المساعدة اغتنمت اول فرصة لاخذ جزائها . فما قتل الصينيون وراء كياوتشو بعض الالمانيين حتى هجمت المانيا فاحتلت هذه المدينة ثم تبعتها روسيا وانكلترا وفرنسا فاحتلت الاولى بور ارثر وتاليان وان واحتلت الثانية وي هاي واي والثالثة كنغ تشو . وكلهن لم يستولين على هذه الثغور استيلاء ولكنهن استأجرنها من حكومة الصين استئجاراً الى ٩٩ عاماً . .

ولم يكتفِ الاوربيون بهذه الغنائم بل قاموا من كل جانب يطلبون من حكومة الصين ان تمنحهم الامتيازات بمد الخطوط الحديدية وانشاء الشركات في البلاد . فاستفحل نفوذ الاجانب في الصين استفحالاً عظيماً ونسخ الامبراطور التقاليد القديمة وقرب اليه اناساً من انصار المدنية الاوروبية واخذ بمساعدتهم يحاول تغيير حالة البلاد وادخال اصلاحات جديدة اليها

فدخلت حينئذٍ الى مرسح السياسة الامبراطورة خالته يدفعها الحزب القديم . فقصدته وهو في قصره في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٨ ليلة ٢٢ منه ومعها شهود يشهدون لها . فسألت الامبراطور الشاب عن الاعمال التي يعملها واتهمته بانه يخون الاسرة الملكية لانه جعل نفسه آلة في ايدي الانكليز وحزبهم في البلاط فانكر الامبراطور ذلك فرفعت الامبراطورة يدها

ولطمته على وجهه . فامتثل المسكين في الحال وسلم اليها ختم المملكة ووقع على امر قاضٍ بجعلها وصية عليه من جديد . فقبضت هذه المراة القوية على ازمة السلطة مرة ثانية

﴿ الامبراطورة وسياستها ﴾ وقد صنعت الامبراطورة ذلك مدفوعة بعاملين . الاول عامل خاص والثاني عامل عام

اما العامل الخاص فهو ان الامبراطورة نفسها نفس رجل لا نفس امرأة اي انها شديدة الشكيمة قوية الميل للسلطة والشره للسيادة ولذلك كانت تنظر بعين الحسرة الى سفينة المملكة الصينية تجري من غير مساعدتها. فكانت هذه المرأة تشبه الجواد الذي تؤذيه الراحة او كما قال المتنبي يضرُّ به فرط الجمام . ولهذا السبب اغتنمت الفرصة الاولى للهجوم على ازمة الملك التي افلتت منها قبلاً

واما العامل العام فهو خوفها على بلادها ورؤيتها ان سياسة الامبراطور الشاب ستفضي الى تجزئتها اذا استمر على تساهله مع الاوربيين . ولذلك جعلت نفسها وصية عليه لتكون لها السيطرة والسيادة على اعماله

وفي اليوم التالي لقبضها على زمام الملك على الوجه الذي بسطناه امرت فقتل جميع خصيان البلاط واعدم جميع زعماء حزب الاصلاح الذين يلقبونهم بالحزب الانكليزي . ثم اخذت تهدم ما بناه الامبراطور فحالت دون مشروعات اجنبية كثيرة واظهرت عزمها على ان لا تمنح الاجانب امتيازات جديدة في بلادها . ثم صرفت افكارها الى استمالة الشعب اليها لتشد به ازرها

وهذا هو خطأها العظيم . فانها هنا ناقضت نفسها بنفسها . لانها عند قبضها على ازمة الملك قالت ما يقوله كل ملك لا يريد ان يمنح الشعب حريته من ان « الحرية لا تُعطى دفعة واحدة والاصلاح لا يؤتى دفعة واحدة » والحجة في ذلك ان الشعب لا يفهم حينئذٍ معنى الحرية والاصلاح حق الفهم . فاذا كان ذلك كذلك فكيف جاز للامبراطورة ان تقول للشعب اقوالاً لا يفهمها او انه من سوء حظه يفهمها اكثر مما يجب ان يفهمها

ذلك ان الامبراطورة نشرت على حكام الصين في كل الاصقاع منشورات تحثهم فيها على تدريب الشعب على استعمال السلاح للدفاع عن انفسهم وعن بلادهم وعلى مقاومة الاجانب بالقوة الفعلية اذا حاولوا الاستيلاء على ارض صينية . فهب الصينيون للتدرب على استعمال السلاح وتالفت جمعيات لتعلم ذلك واخرى لتعلم العاب الرياضة البدنية

لتقوية الاجسام · فنشرت الامبراطورة منشورًا آخر تقول فيه انها تسر كل السرور بالالعاب الرياضية التي تقوي ابدان ابنائها · ولا بدع فانها كانت « بوكسرية » كما مرَّ بنا

ففهم الصينيون المساكين من كل ذلك ان امبراطورتهم تحثهم على مقاومة الاجانب واضطهادهم فثاروا عليهم في الشهر الماضي يقتلون مرسليهم وتجارهم و يذبحون نساءهم واولادهم ويحرقون معابدهم وامتيازاتهم

وامتازت منهم جمعية « البوكسر » سميت كذلك لانها تالفت لتعلم لعبة « البوكس » وهي الملاطمة بجمع اليد على الطريقة الانكليزية · ومن الكتاب من يقدر عدد هولاء البوكسر بمائة الف رجل ومنهم من يقول ان عددهم ١٠ ملايين ولكن مهما كان عددهم فان ثورتهم من اشد الثورات هولاً · وقد هاجموا ثغر تيينتسين ولا يزالون يطلقون القنابل عليه الى ساعة كتابة هذه السطور وهاجموا بكين عاصمة الصين فقطعوا اسلاكها البرقية وخربوا سككها الحديدية

✲ اعلانات البوكسر ✲ وهذه صورة احدى الاعلانات السرية التي يلصقها البوكسر في الاسواق والشوارع الصينية حضاً للناس على الثورة

— اقرأوا هذا كلكم —

ان آلالهة التي تساعد جمعية البوكسر وهي المستقيمة جدًا واللطيفة جدًا

تأمركم بان تطردوا الابالسة الاجانب

الذين ياتون لازعاج مملكة ابن السماء

الذين يجبرون الناس على الحنث بيمينهم

الذين يجبرون النساء على ارتكاب الفحشاء

انتم كلكم افنوا هولاء الشياطين · اهدموا السكك الحديدية · اكسروا القوائم التلغرافية · وعلى الخصوص اغرقوا السفن · فان ذلك يجعل في القلوب بردًا وسلامًا · وحينئذٍ فان فرنسا العظيمة تصبح ترابًا مع الانكليز والروس · ومملكتنا اللطيفة تنمو وتزهو »

نقول نعم تنمو وتزهو ولكن بعد استيلاء الاجانب عليها بجنون ابنائها

وفي بعض الاخبار التي لم تثبت بعد ان هولاء البوكسر هدموا سفارات الدول في بكين وذبحوا السفراء فكان من نتائج ذلك ان الدول ارسلت اساطيلها الى الصين فاحتلت حصون تاكو بعد ان قتلت ٤٠٠ جندي من جنود الصين وهي الآن آخذة بانجاد رعاياها في بكين وتيينتسين

وغيرها واخماد الثورة في السلطنة الصينية

﴿ الطرفان يتشابهان ﴾ هذا ما كان من تاثير سياسة الامبراطورة التي قبضت على « دفة » السلطنة الصينية لتنقذها فتكاد تغرقها . ولا غرابة في ذلك فحب التناهي في كل شيء غلط وخير الامور كما قال الشاعر الوسط . فان سياسة الامبراطور كان محورها اباحة كل شيء للاجانب فيها وسياسة الامبراطورة منع الاجانب من كل شيء . ولهذا السبب كان لا بد من ان تؤديا الى نتيجة واحدة

وقد رأينا ان الدول الآن على اتم اتحاد في المسالة الصينية . ولكن هذا الاتحاد لا يدوم لانه ان جمعت المصائب الدول فاتحدن على الدفاع فان اتحادهن يزول حين زوال الخطر وانقضاء دور الدفاع . فاذا وُجد الآن بازاء العرش الصيني يد حكيمة كيد البرنس « لي هنغ شنغ » السياسي الشهير فانها تستطيع اخماد الثورة على عجل واعادة التنافس بين الدول وبذلك تنقذ استقلال الصين . اما اذا بقيت الحكومة الصينية تدوس حقوق الامم بمحازبتها الثائرين على الاوربيين فان استقلال الصين يصبح في خطر واذا طالت الثورة فان اوربا تذكر « الخطر الاصفر » فلا تكتفي حينئذٍ بخلع الامبراطورة او تغيير الحكومة الصينية . ويومئذٍ يصح ان يقال في الصين « على نفسها جنت براقش »

﴿ فوائد ﴾ وقبل ختام الكلام في هذا الموضوع نود ان نقول كلمة عن الفوائد التي في امكان الشرقيين ان يستفيدوها من الحوادث الصينية الحاضرة فنرى ان هذه الفوائد اربع

(١) ان في الامكان اتحاد دول الغرب على الشرق متى اصبحت مصالحهن في خطر . فلتنعم النظر في ذلك كل الدول الشرقية التي تعتمد في سياستها على المنافسات الاوربية فان هذا الاتحاد الذي ظهر بمظهر جديد لهو باعظم مكان من الاهمية

(٢) ان الصينيين مع ضعف عزائمهم وانخلاع قلوبهم ثاروا على حكومتهم وعلى الاجانب . ذلك ان الظلم وسوء السياسة قد يدفعان اضعف النفوس الى الاستياء والثورة رغبة في دفع الضيم وصلاح الحال فليتامل في ذلك حكام الشرق في كل مكان

(٣) ان الغربيين لا بد من دخولهم الى بلاد الشرقيين فعلى حكومات الشرق ان تستخدمهم مساعدين لنشر التمدن في بلادها لا ان تعتبرهم اسياداً فتبيح لهم كل شيء او اعداء فتمنعهم من كل شيء . فان كلا السياستين تؤديان الى سوء المصير . وخير ما تصنعه الحكومات لرعاياها في هذا الشان ان تربيهم تربية اقتصادية وتساعدهم المساعدة الصناعية والزراعية والتجارية اللازمة ليتسنى لهم مزاحمة الاجانب في بلادهم بدل النهوض الى طردهم

منها حسدًا و بغضاً بوسائل تفضي الى تسليمهم البلاد وما فيها

(٤) على الشعوب الشرقية ان تنبذ كراهة الامم الغربية وعلى هذه الامم ان تمهد لها ذلك بتلطيف سياستها واتخاذها العدل والانصاف سبيلاً معها والا ساءت العاقبة على الفريقين

باب المقالات

الانسانية تتعذب في الهند

— الاعانة العثمانية والمصرية —

احصِ القتلى الذين سقطوا في ساحة الحرب في الترانسفال وفي ساحة الجهل في الصين تجد عددهم لا يساوي عدد الهنود المساكين الذين افنتهم المجاعة والطاعون والهواء الاصفر في هذا العام . ثلاث آفات هائلة سُلطت على الهند الجميلة مهد الفلسفة والحكمة فتركت الانسانية فيها تعاني عذاباً لم تسمع بمثله الانسانية في هذا الزمان

ولسنا نلجأ الى الاوصاف الشعرية تبياناً لتلك الحالة الهائلة بل يكفي لذلك ذكر الحقيقة كما هي مجردة عن كل زينة و زخرف . اسمع ما كتبه بهذا الشان الدكتور " رخت " من كودره في الهند وهذا نصه

" ما كدت اصل الى كودره حتى رايت في مجرى النهر الذي قد جف ماؤه اكداساً خضراء وفوقها في الهواء شيء كالسحاب الكثيف . فدنوت منها لاراها فاذا بها جثث هنود ماتوا جوعاً ملقاة بعضها فوق بعض بينها الكلاب تأكل منها حتى لا تجوع ايضاً وفوقها اسراب من الذباب تحوم عليها لتمتص ما فضل في جلدها من الدم اذا كان قد بقي فيها دم وهي لكثرتها تشبه السحاب من بعيد "

وكتب طبيب آخر في الهند يقول " لا انسى في زماني اولئك التعساء الذين زرتهم في شوتانا غبور . فانهم كانوا هياكل من العظام جالسة على ارض رطبة سوداء فوق حصر مهترأة فاسدة . جلودهم لاصقة بعظامهم لذوبان اللحم عنها وعظامهم ترى بارزة وتُعد واحدة واحدة اما بطونهم فانها منتفخة بارزة لاعتيادهم اكل اصول الشجر ونبات البرية . ذلك انهم كانوا ينتشرون كالحيوانات السائمة في البر للتفتيش عن العشب ليا كلوه والسعيد من يجد منه شيئاً "

وكتب طبيب ثالث يقول « عندنا اهوال ترتجف لها فرائص الانسانية . فان الاهالي

يموتون من المجاعة الوفًا الوفًا . ومن لا يموت جوعاً فانه يبتلى بالجنون. وجنونهم انواع شتى. فمنه جنون غليظ كما جرى في شندر لسبعمائة جائع لم يهدأوا و يسكنوا حتى سُجنوا في قلعة حصينة . ومنه جنون لطيف كما حدث لثلثمائة جائع في حرش اوجمر مرو ره فانهم ربطوا في اعناقهم حبالاً وشنقوا انفسهم باشجار الحرش وهم هادئون ينشدون بلطف اغانيهم البوذية المقدسة. ومنه جنون اليأس والانتحار كما حدث في بنحاب لثلاث وستين عيلة بمن فيها من الرجال والنساء والاولاد فانهم اجتمعوا واخذ كل واحد منهم ابرة طويلة ووضع راسها فوق قلبه ثم وقف رجل امامهم واشار اشارة فرزوا الابر في قلوبهم دفعة واحدة فسقطوا كلهم قتلى المجاعة والشقاء »

وكتب طبيب رابع يقول « لقد مات من الجوع والهواء الاصفر ٢٥٠٠ هندي في ٤٨ ساعة في كودره وحدها . ومات في دواد ٣٠٠٠ هندي في ٤٨ ساعة فقط . ومات في بومباي ٤٠٠٠ هندي في يوم واحد . وقد غصت المستشفيات بالجثث حتى اصبحوا يضعونها بعضها فوق بعض امام المرضى حتى تاتي نوبة احراقها لان الهنود يحرقون موتاهم كما لا يخفى . ونيران اتنهم في هذه الايام لا تنطفئ لكثرة ما يُحرق فيها . على انها وا اسفاه لا تحرق الا جلداً وعظاماً فقط لان الجوع يذيب اللحم في الاجسام ويجفف دماءها قبل ان تفارقها ارواحها ..»

هؤلاء هم التعساء الذين اردنا رفع صوتنا الضعيف من اجلهم في هذه المقالة . بشر بروح خالد مثلنا اجدبت ارضهم في هذا العام فاصبحوا يموتون الوفًا الوفًا . نعم ان اللورد كرزون حاكم الهند صنع ما في استطاعته صنعه فجمع الاعانات واستدعى الاطباء واستاجر السفن والقوافل لنقل المؤن . نعم ان مدينة لندن وحدها قد جمعت الى الآن اكثر من ٣٠٠ الف جنيه اعانة ولكن كل ذلك ليس بالقياس الى الهند الشاسعة الا بمثابة كاس من الماء تُصب في وادٍ عميق . فاذا كانت الانسانية في الهند تتعذب الآن الى هذا الحد فمن واجبات الانسانية ان تساعدها في كل مكان بقطع النظر عن السياسة والجنسية

وقد اوردنا هذه التفاصيل لما ذكرناه في حينه من تالف لجنتين في الاستانة والقاهرة لجمع اعانة لمنكوبي الهند المساكين استفزازاً للهمم الى مساعدة التعساء . ويقيننا ان اغنياء العثمانيين والمصريين يقومون بما يجب عليهم لاخوانهم في البشرية فيحققوا ما اشتهر عنهم من الكرم والسخاء . كما ان المامول من اغنياء العالم المتمدن واكابره ان يكونوا اكثر اهتماماً بالمصائب الهندية الهائلة بصرف النظر عن الصبغة السياسية والقومية والا فان المدنية والعلم والاخاء البشري وصنع الخير وحب القريب والتقدم العام — كل هذه لا تكون الا الفاظاً فارغة وكلاماً بكلام بكلام

اسكندر الكبير

مقالات متسلسلة يجد فيها القارئ من المعارف التاريخية والفكاهات وعظيم
الحوادث وشريف الاخلاق ما يرفع النفس ويسمو بالخلق
وهو يحسب انه يقرأ قصة بسيطة

وصلنا في الجزء الماضي الى استياء الفتى اسكندر من ابيه فيليبوس وسفره بامه اولمبيا الى بلاد الايليريين . وبعد سفره زار دياراثوس الكورنثي فيليبوس وهو صديقه فساله فيليبوس كيف حال اليونان وهل هم متفقون متحدون . وكان دياراثوس لما بينه وبين فيليبوس من الوداد لا يكتم عنه افكاره فاجابه « ليس لك ان تطلب من رعيتك ان يكونوا متفقين متحدين اذا كنت مع عيلتك على غير اتحاد ولا وفاق »

فاثرت هذه الكلمة في نفس فيليبوس فارسل صديقه دياراثوس الى الاسكندر فاسترضاه واعاده هو وامه الى وطنه

لكن لم يستمر اتفاق اسكندر وابيه زمناً طويلاً بعد ذلك فان بيكسودوروس ملك كاريا رام ان يحالف فيليبوس محالفة هجوم ودفاع فارسل يقترح عليه توطئةً لذلك ان يزوج ابنته البكر الى « اريده » ابن فيليبوس . فدرى الاسكندر بهذا الاقتراح وادرك ان « اريده » اذا اقترن بابنة بيكسودوروس فانه يشد ازره بحليف عظيم يساعده بعد موت فيليبوس على ارتقاء عرش مكدونيا فيخسره الاسكندر . فاضطرب لذلك واتى الممثل الشهير ثسالوس فعهد اليه امراً يدل على شدة تاثير فن التمثيل في ذلك الزمان . ذلك انه طلب منه ان يسافر الى كاريا ويمثل على مسمع من بيسكودوروس روايةً تكره اليه ازواج ابنته الى اريده الفتى " اللقيط " الضعيف وتحبب اليه ازواجها الى امير كبير كالاسكندر . فذهب الممثل وقام بمهمته . فاحل بيكسودوروس هذا الاقتراح محل الرضى . ولكن فيليبوس ابا الاسكندر درى بالامر فطلبه وعنفه اشد تعنيف لرغبته في محالفة رجل غريب دنيء ثم كتب الى الكورنثيين فارسلوا اليه ذلك الممثل مكبلاً بالقيود ونفى اربعة من اصدقاء الاسكندر لظنه انهم هم الذين اغروه بما صنع

وبعد زمن غير طويل حدث النزاع بين فيليبوس وبوسانياس فاهانه فيليبوس وضغط عليه الى حدٍ اخرجه عن هداه فهجم على فيليبوس وقتله . ومن الكتاب من يتهم اولمبيا

زوجة فيليبوس بانها هي التي حرضت بوسانياس على قتله ومنهم من يُشرك معها في الجناية ابنها الاسكندر نفسه · وقد خلف هذا اباه على عرش مكدونيا في سنة ٣٣٦ قبل الميلاد وعمره ٢١ سنة

وكان الاضطراب سائدًا يومئذٍ في مملكة اليونان · نعم ان فيليبوس كان قد اخضعها ولكنه توفي دون ان يخمد اضطرابها و ينظم شؤونها فكانت دلائل الفتنة والاضطراب بادية في كل مكان فيها · ولذلك اشار بعض المشيرين على الاسكندر بان لا يكون شديد الوطأة عليها بل ان يحسن معاملتها فيستميلها باللطف والتودُّد · ولكن نفس الاسكندر القوية كانت تكره الخضوع لاحد فعزم على كبح جماح كل ثائر بالقوة اعتقادًا منه بانه اذا اتبع سياسة اللطف والتودُّد حسبوا ذلك منه ضعفاً وخوفاً لا حلماً وكرماً فيقوموا الى الثورة قومة واحدة

فجيش في بدء الامر جيشاً و زحف به الى نهر ايستر (الدانوب) لاخضاع الذين شقوا عصا الطاعة في تلك الجهات · فاخمد الثورة وكسر سيرموس ملك التريباليين في معركة كبرى · الا انه لم يفرغ منهم حتى بلغه خبر ثورة ثيبة العظيمة وان الاثينيين يشدون ازرها فكر راجعاً اليهم ليذيقهم بأسه · و بعد ان عبر مضيق الترموبيل قال هذا الفتى العظيم لقواده « انني لما زحفت بالجند على الايليريين والتريباليين سماني الخطيب ذيموستينوس ولدًا صغيرًا · ولما صرت في تساليا سماني شاباً فانا متى اضيحت غدًا تحت اسوار اثينا ساجعله يسميني رجلاً » فما اعظم هذا الكبر من فتى عمره ٢١ عاماً

ولما اصبح الاسكندر تحت اسوار ثيبة اراد ان يتخذ الحلم سبيلاً مع اهلها فوعدهم بالعفو عنهم اذا دفعوا اليه الزعيمين اللذين استثاراهم الى الفتنة فاجاب الثيبيون انهم لا يكفون عن الحرب الا على شرطين ان يدفع اليهم الاسكندر رجلين يحرضانه عليهم وان يعلن في اليونان كلها ان من يطلب تحرير اليونان فلينضم الى اهالي ثيبة

فادرك اسكندر حينئذٍ انه لا يجدي مع الثيبيين امر غير الحسام فهاجمهم بجميع قواه فدافعوا عن انفسهم اشد دفاع · ولكن كان في حصن ثيبة حامية مكدونية فخرجت من الحصن وجاءتهم من وراء ظهورهم فاصبح الثيبيون بين حربين واحدة من خلف وواحدة من امام فقاتلوا قتال الابطال حتى كادوا يفنون · و بعد فتح المدينة نهبها جنود الاسكندر وقد تركهم ينهبونها لان محالفيه كانوا يطلبون ذلك بالحاح ولانه اراد معاقبة الثيبيين عقاباً يكون عبرة لسائر اليونانيين · وقد قُتل من الثيبيين في هذا القتال ٦ الاف رجل و باع

الاسكندر من بقي منهم وعددهم ٣٠ الف رجل · ولم يعفُ الا عن كهنتهم وعن الثيبيين الذين كانوا موالين للمكدونيين ومقاومين للثورة

على ان الاسكندر عفا عن اثينا بعد فتح ثيبة كأن الدماء بردت غضبه كما تبرد غضب الاسود او كانه ارتاع من فظاعة عمله في ثيبة فاراد ان يعمل عملاً حميداً في اثينا · وقد ندم في ايامه التالية على ما صنعه بثيبة وكان كلما اصيب بمكروه في حياته قال انه ما اصيب به الا تكفيراً عن فظائع ثيبة · وكلما افتكر في تلك الفظائع كان يلبث مبهوتاً نادماً

وبعد عفوه عن اثينا اصبح اليونان في خوف من بأس داريوس ملك الفرس وقد اجتمعوا في برزخ كورنثيوس فقر رأيهم على ان يجعلوا الاسكندر قائداً لهم للحملة على داريوس · فرضي الاسكندر وسار الى كورنثيوس فزاره فيها الفلاسفة ورجال السياسة ليشكروه ويكرموه · فسرَّ اسكندر باكرامهم ومنىَّ نفسه بزيارة الفيلسوف ديوجينوس الشهير الذي كان في تلك المدينة · ولكن ديوجينوس لم ينقل قدماً اليه فعمل الاسكندر طبقاً للمثل القائل : من لم يأتِ اليك فرح اليه · فقصد ديوجينوس ضواحي المدينة وكان هذا الفيلسوف جالساً في الشمس مفكراً · فلما دنا منه اسكندر بحاشيته الكثيرة رفع ديوجينوس راسه قليلاً ولبث ناظراً الى الاسكندر · فحياه اسكندر وساله ماذا تطلب يا ديوجينوس · فاجاب الفيلسوف بالعبارة المشهورة « اطلب ان تحيد عن شمسي » ذلك ان الاسكندر وقف بينه وبين الشمس فحال دون وقوع نورها عليه · فاعجب الاسكندر بما في جواب ديوجينوس من العظمة · اما ضباطه وحاشيته فاخذوا يستخفون بالفيلسوف فالتفت اليهم الاسكندر وقال « لا تستخفوا به فانني لو لم اكن اسكندر لفضلت ان اكون ديوجينوس » وهذا اعظم اكرام للفلسفة

وقبل زحفه بالحملة الى آسيا اراد استشارة الالهة جرياً على عادات اليونان في ذلك الاوان فسار الى دلف فرفضت الكاهنة ان تسير الى الهيكل لاستشارة الاله لان الاستشارة كانت محرمة في ذلك الشهر فساقها اسكندر الى الهيكل بالرغم عنها فلما دخلته صاحت قائلة « يا بنيَّ انت لا تُغلب » فقال الاسكندر حينئذ كفى كفى رضيت بهذه النبوءة وقد اعتبر كلمة الكاهنة تنبئاً بانه سيكون ظافراً

ويعتقد اليونانيون ان الالهة ارسلت الى اسكندر انباء اخرى غير هذا النبأ لتخبره بانه سيكون الظافر على اعدائه · منها ان صنم اورفه اشهر موسيقي القرون المتقدمة قد

نضح ماءٍ حين زيارة الاسكندر فتشاءم بعضهم من هذا الامر ولكن صديقاً للاسكندر فسره له بانه سيعمل في ملكه من الاعمال العظام ما يتعب الشعراء والموسيقيين وصفها وانشاد ما يقال فيها حتى يعرقوا من التعب ٠ وفي الحقيقة ان هذا التفسير الغريب لا يخلو من فكاهة

ثم بدأ الاسكندر بحملته الشهيرة على الفرس ويقدر اشد المؤرخين مغالاة عدد جنودها باربعة وثلاثين الفاً من المشاة و٤ الاف من الفرسان ٠ ولم يصحب من المؤونة الا ما يكفيه شهراً ومن النقود الا النزر اليسير ٠ وقبل سفره فرق كثيراً من امواله واملاكه على اصدقائه حتى اوشك ان لا يبقي لنفسه شيئاً ٠ فصاح به برديكاس « ماذا ابقيت لنفسك ايها الامير فقد فرقت علينا كل شيء » ٠ فاجاب الاسكندر بهذه الكلمة العظيمة — ابقيتُ لنفسي الامل

نعم لقد صدق الاسكندر فان الامل اعظم من كل شيء في هذا العالم بل اعظم من العالم

فاجابه حينئذٍ برديكاس ٠ اذا كنت تبقي لنفسك الامل فاننا نود ان نبقيه لانفسنا ايضاً ٠ قال هذا ورفض الهدايا التي اهداها اسكندر اليه ٠ فحذا حذوه كثيرون من رفقائه فارتاح الاسكندر الى كبر نفوسهم واعطى الاموال التي رفضوها الى سواهم

ثم زحف اسكندر بجنوده الى آسيا فعبر الهللسبونت (الدردنيل) وكان قواد داريوس ينتظرونه عند نهر الغرانيك ليمنعوه من العبور الى بلادهم وقد صفوا جنودهم على شاطىء النهر ليلقوه بها حين عبوره

فرأى قواد اسكندر صعوبة هذا الامر فحاولوا صرفه عنه فراراً من خطر لقاء الفرس قبل الخروج من النهر ٠ وقال له بعضهم ان عبور النهر محرم في ذلك الشهر فامر اسكندر بتغيير اسم الشهر وقال للقواد « ان خوفنا من عبور الغرانيك بعد عبور الدردنيل اهانة للدردنيل » قال هذا ثم القى بنفسه مع فرسه الى النهر فتبعه فرسانه يقصدون العدو على الشاطىء الثاني

وكان النهر طاغياً ونبال الفرس تهطل حوله كالمطر الهاطل فلقي اسكندر في عبوره بلاءً وجهداً حتى انه كاد يغرق فيه ٠ ولما وصل الى الشاطىء الثاني كان قد اعياه التعب هو وفرسانه

وكان الفرس ينتظرونه بفرسانهم فلم يمهلوه ان يخرج من المياه بل بادروه بالطعان بالحراب والسيوف وهم يصرخون صراخاً هائلاً فالتقتهم فرسان الاسكندر وهي على غير نظام . واحاط بالاسكندر اعداؤه وقد عرفوه من لباسه فكادوا يفتكون بحياته . وكان موقفه في تلك الساعة حرجاً جداً

الا انه بينما كان يحارب الفرس بفرسانه اخذت مشاته تعبر النهر ثم لما فرغت من ذلك هجمت على مشاة الفرس هجمة صادقة فلم يثبت الفرس طويلاً بل ولوا الادبار الا المسترزقة من اليونانيين الذين كانوا متطوعين بالاجرة في جيش الفرس فانهم لجأوا الى اكمة هناك وحاربوا المكدونيين عليها

ويقدرون عدد قتلى الفرس في هذه المعركة التي انتهت بانتصار الاسكندر بعشرين الف رجل من المشاة والفي فارس وعدد قتلى جيش اسكندر باربعة وثلاثين رجلاً فقط كما رواه اريسطوبولس . وكان عدد جيش اسكندر لا يتجاوز الاربعين الفاً كما قدمنا وعدد جيش الفرس ٦٠٠ الف رجل وهذا من الغرابة باعظم مكان

وكان من نتيجة هذا النصر ان مدينة سارد عاصمة ثغور الامبراطورية الفارسية سلمت الى الاسكندر هي وغيرها من المدن فازداد اليونانيون جرأة . ولكن اسكندر تردد بين خطتين . الاولى ان يغتنم فرصة تضعضع الجيش الفارسي ويقصد داريوس فيقضي على ملكه والثانية ان يستولي على شواطئ الامبراطورية الفارسية قبل دخوله الى قلبها . على انه ما لبث ان اختار الخطة الثانية على الاولى لانه كره ان يخاطر بالمستقبل في معركة كبيرة اذ لو غُلب مرة فانه لا تقوم له بعد ذلك قائمة وخاف ان يزحف قواد الفرس وراءه بعد زحفه الى داخل بلادهم فيصبح بين عدوين ولذلك اختار فتح الثغور الفارسية

ففتح الاسكندر بنفيليا ثم اخضع البيزيديين وسار من غورديوم الى بافلاغونيا وكبدوسه لفتحها . فبلغته حينئذٍ وفاة ممنون القائد الفارسي الذي كان يخشى الاسكندر بأسه من جهة الثغور فرأى حينئذٍ ان يزحف الى اعالي الولايات بعد أمنه الهجوم من الشواطئ . وكان داريوس يومئذٍ في "سوزه" يستعد للقاء الاسكندر وهو واثق بالنصر اتكالاً على كثرة عدد جيشه وعلى حلم رآه وهو ان اسكندر يخدم في جملة خدامه . وقد اراد الزحف اليه بجنوده فعارضه رجل فرَّ من مكدونيا واسمه امينتاس واشار عليه بان يبقى حيث هو فاذا زحف اليه الاسكندر لقي جيشه القليل بجيشه الكثير في السهل فتمكن منه اما اذا زحف هو الى حيث الاسكندر في مضائق الجبال والوديان فانه يُفقد بذلك

الجيش الفارسي مزية من مزاياه الحربية فقال له داريوس « اخاف ان يفرّ الاسكندر من يدي » فضحك المكدوني وقال . « اذا كنت يا ايها المولى لاتعرفه فانا اعرفه ولاشك عندي انه الآن زاحف اليك لانه يتلهب شوقاً الى لقائك » وفي الحقيقة ان اسكندر كان في ذلك الوقت زاحفاً اليه

اما داريوس فلم يقنعه هذا الكلام فزحف بجيش عرمرم الى جهة سوريا للقاء الاسكندر ولكن من سوء حظه انه سار في طريق غير الطريق التي سلكها الجيش اليوناني فاجتاز احدهما الاخر في ظلام الليل دون ان يدري بصاحبه . ولكن اسكندر علم في اليوم الثاني بانه اجتاز جيش داريوس فكر راجعاً اليه ليلتقي به في المضائق بدل السهول فوجده قرب مدينة « اوسوس » احدى مدائن سيليسيا القديمة وهناك جرت بينهما المعركة الشهيرة

ومن حسن حظ الاسكندر ان جيشه حين وصوله الى جيش داريوس وقع على مركز عسكري اقوى من مركز خصمه . وفوق ذلك فان اسكندر تفنن في صف جنوده في هذه المعركة . والى مراكزهم وحسن قيادتهم وادارتهم مدة القتال يُنسب النصر العظيم الذي ناله عليهم . ومع ان عدد الفرس كان اضعاف عدد جنوده فانه لم يتركهم قط ان يحيطوا به او يحصروه وقد جُرح اسكندر في هذه المعركة في فخذه وبلغ عدد قتلى الفرس فيها مائة وعشرة الاف رجل اي اضعاف جميع الجند اليوناني ثلاث مرات

وقبل هذه المعركة عمل الاسكندر عملاً يدل على عظمة الثقة وعلو شان الصداقة . فانه استحمّ يوماً من الايام على ما يقال في نهر السندوس الذي ماؤه ابرد من الثلج فاصيب بمرض ولعله الروماتزم . فاقعده هذا المرض في خيمته دون ان يقدم اطباؤه على وصف علاج له مخافة ان يصيبه شر فتقوم عليهم قيامة جنوده . وكان لاسكندر طبيب اول يدعى فيليب وهو صديقه وموضع ثقته فاخذ هذا الرجل على نفسه شفاء مولاه فاعد علاجاً جديداً قوياً لمعالجته به

وقبل دخوله عليه بهذا العلاج ورد على الاسكندر من المعسكر كتاب يقول فيه كاتبه ان الطبيب فيليب يتآمر مع الملك داريوس على حياة الاسكندر وقد وعد هذا الطبيب ذلك الملك بانه يفتك بحياته في وقت قريب . فليحذر الامير اسكندر . فاخذ اسكندر هذا الكتاب ووضعه تحت وسادته

واتفق حينئذٍ دخول الطبيب فيليب عليه وفي يده دواؤه الجديد الذي اشرنا اليه ووراءه جميع اطباء الملك فدنا فيليب من فراش اسكندر وقال . خذ يامولاي هذا

الداء الجديد فانه يشفيكم من كل علة ٠ فمد اسكندر يده واخرج الكتاب المذكور من تحت وسادته ثم ناوله الى طبيبه بالشمال وتناول منه كاس الدواء باليمين ٠ وقبل ان يفتح الطبيب فيليب ذلك الكتاب و ينظر فيه أدنى اسكندر كاس الدواء من فمه وافرغه فيه مثبتاً بذلك عظم ثقته بطبيبه وصديقه ٠ وفي الحقيقة ان عملاً عظيماً كهذا العمل ليس في امكان احد ان يعمله غير الاسكندر ومن كان بعظمة نفسه وشدة ثقته بهاو بالمقربين منها. ويحسب الفلاسفة وعلماء الاداب هذا العمل الذي عمله الاسكندر من اسمى اعماله لانه به شرّف الصداقة والثقة واعلى شانهما في هذا العالم

اما الطبيب فانه انطرح على قدمي اسكندر يرجوه ان لا يسمع فيه اقوال الوشاة فاجابه لو كنت سمعت ذلك لما كنت قد شربت علاجك

و بعد انتصار اليونان على الفرس اخذ المكدونيون ينهبون الجيش المغلوب ٠ ولكن داريوس كان قد امر بارسال كل شيء نفيس الى دمشق الشام فلم يجد المكدونيون كثيراً من النفائس في جيش فارس ٠ انما وجدوا فيها خيمة داريوس فدخلها الاسكندر وجلس فيها في مجلس داريوس معجباً بزينتها وجمالها ٠ وقال ضاحكاً « هل ان الملك عندهم ان يجلس الانسان في هذا المجلس » وقد اراد به ان الملك لا يكون ملكاً بمجلسه او بزينته ولكن باعماله

وقبل ان يجلس على المائدة ليستريح من معركة النهار اتاه رسول يبلغه انهم وجدوا امرأة داريوس وابنته في جملة الاسرى وانهما بكتا ولطمتا حينما رأتا خيمة الملك داريوس ظناً منهما انه قد قُتل فارسل الاسكندر اليهما من يسكن خاطرهما و يبلغهما ان الملك لا يزال حياً ٠ قال فلوطرخوس وقد اكرمهما وبالغ في ذلك حتى اذن لهما ان تدفنا من قتلى الفرس كل من ارادتا دفنه ٠ ولكن بعض الكتاب المحدثين ينكرون على فلوطرخوس ان يكون الاسكندر قد اذن بذلك لابنة داريوس و زوجته لان الفرس كانوا لا يدفنون من موتاهم وقتلاهم غير الملوك فقط

وامر اسكندر فوضعت هاتان الملكتان في مكان امين واحتاطهما بكل اكرام واحترام حتى انهما ما كانتا تسمعان كلمة تخدش الخاطر او تسوء الادب بشيء ٠ بل ما كانتا تريان احداً او يراهما احد ٠ وكانتا رائعتي الجمال ولكن اسكندر لم ياذن لاحد ان يذكر جمالهما امامه ولم يشأ ان يقابلهما

ذلك ان هذا الرجل او بالحري هذا الشاب كان نزيه النفس لا يفكر الا بالاعمال

العظيمة التي اقدم عليها فكانت تستغرق جميع اوقاته وامياله . وكان نزيهاً بالطبع فكان اذا ابصر اسيرات الفرس وشاهد جمالهن الرائع قال لمن حوله « ان نساء الفرس فتنة للناظرين» ولكي لا يقع في هذه الفتنة كان اذا مرَّ بهن يمر وهو مطرق الى الارض كأن الواقفات بازائه تماثيل جميلة لا اجسام بشرية

ومما لا يجدر اغفاله في هذا المقام تبياناً لشرف نفس اسكندر ان « فيلوكسين » عامله في الولايات الساحلية ارسل اليه يوماً من الايام يقول له « ان رجلاً من التتر يعرض للبيع غلامين بارعي الجمال فهل يريد الملك ان اشتريهما له » فغضب اسكندر اشد غضب وصاح « اي عمل دنيء راى فيلوكسين انني عملته حتى يراني اهلاً لان يُقترح عليَّ مثل هذا الاقتراح » وبلغه في ذات يوم ان جنديين من جنود مكدونيا اغتصبا امرأة فامر باعدامهما في الحال فاعدما كما تُعدم الوحوش الضارية . ذلك لانه كان شديداً جداً فيما يختص بالعرض والنوم . فاذا نام احد كان قد وكل اليه ان يسهر على امر او انتهك حرمةً فانه يعاقبه بلا رحمة اعتباراً ان النوم دليل الاهمال والكسل وانتهاك الحرمة دليل الدناءة واللؤم والخيانة

وكان غير شره ولا نهم . فان الملكة آده التي ولاها شؤون كاريا كانت تبعث اليه دائماً بالاطعمة اللذيذة والحلوى المختلفة مع مهرة الطباخين استرضاءً له فارسل يقول لها انه في غنى عن هؤلاء الطباخين لان معلمه ليونيداس منحه طباخين هما امهر الطباخين « الاول طباخ لطعام الظهر وهو التنزه قبل بزوغ الصباح . والثاني طباخ لطعام المساء وهو غداءٌ قليل » . وكان يقول ايضاً ان معلمه هذا كان يزور في كل ليلة فراشه ليرى اذا كانت امه قد فرشت له عليه شيئاً ليناً خلافاً للعادة . وكان غرضه من ذلك تعويده من صغر معيشة الشظف والاحتمال وهي المعيشة التي تنشئ رجالاً خلافاً لمعيشة الترف والنعمة

اما الخمر فانه كان يشرب منها اقل مما ظنه بعضهم . وانما نسبوا اليه الاكثار من الخمر لانه كان يطيل الجلوس على المائدة . وما دروا ان غرضه من ذلك كان المحادثة بعد الطعام لولعه بها لا تناول المسكرات . وكان حريصاً على جعل مائدته كما يجب ان تكون مائدة ملك وامير ويراقب بنفسه توزيع الطعام بالسواء على الجالسين . وكان يبلغ عددهم عادةً ٧٠ رجلاً . وينفق على مائدته في كل وقعة ١٠ الاف دراخمة . وكان لطيفاً جداً على الطعام انما كان كثير المباهاة والافتخار بنفسه الى حد كان جلاسه عنده يمجون سماع ذلك

منه وكان يسمع لمملقيه كثيرًا و يلذ له ملقهم وكذبهم

هذا و بعد استراحة الاسكندر وجيشه بعض الاستراحة زحف به لفتح سوريا وفلسطين ومصر وسيرد الكلام على ذلك في الجزء التالي

زيارة المعرض في يوم واحد

وغرائب الملاهي التي فيه

تخرج السفن من موانىء الغرب والشرق في هذا العام غاصة بالمسافرين الى باريز لمشاهدة معرضها العام . فهولاء المسافرون الى المعرض او الذين ينوون من القراء السفر اليه هم في غنى عن قراءة هذا الفصل . اما الذين تقضي عليهم اشغالهم بعدم السفر فجدير بهم ان يقرأوه اذا شاؤوا ان يرسموا في اذهانهم صورة اجمالية للمعرض

ورغبة في جعل هذه الصورة واضحة ثابتة نسير بالقارىء في جميع اجزاء المعرض فنشاهدها معه في يوم واحد ابتداء من الساعة التاسعة صباحًا الى الساعة السادسة ونصف مساء . على انه يلزم عادةً لمشاهدة المعرض حق مشاهدته والوقوف على اهم شؤونه شهر كامل على الاقل اذا زاره الانسان زيارة يومية متتالية . ولكننا نحن الآن في ضيق من الوقت والمجال ولذلك نمشي على عجل فليشمر القارىء وليتبعنا

الساعة التاسعة صباحًا — نستأجر اولاً مركبة الى مدخل المعرض من باب الشان اليزه في شارع نيقولا الثاني . ومتى وصلنا ندخل من هذا الباب الى الشارع الجديد فنجد الى يميننا « القصر الكبير » والى يسارنا « القصر الصغير » وكلاهما معرضان للفنون الجميلة فنقف هنيهة للتمتع بمنظر ذلك الشارع الجميل

الساعة ٩ والدقيقة ١٥ — ثم ندخل الى القصر الكبير من باب الوسط لمشاهدة السلم الكبيرة التي فيه وهي آية في حسن النقش ثم نجول جولة فيه ونخرج من حيث دخلنا

الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ — و بعد ذلك ندخل الى القصر الصغير فننظر نظرة الى قاعتيه الجميلتين المعروضة فيهما ابهى الصور والرسوم . ثم نعود بسرعة لئلا يفوتنا الوقت . فنسير في طريقنا على ضفة نهر السين اليمنى الى « قسم مدينة باريز »

الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ — فنصل الى معرض الزراعة والازهار والاثمار وهو آية في

الجمال و بازائه معرض الاقتصاد السياسي

الساعة ١١ — وفي الساعة ١١ نصل الى « معرض باريز القديمة » الذي تُمثل فيه حالة باريز في القرون الماضية

الساعة ١١ والدقيقة ١٠ — ثم نصل الى « قسم التروكاديرو » الذي فيه معارض المستعمرات الفرنسوية والاجنبية من هندية وصينية وسيبيرية وترانسفالية وتونسية وجزائرية وهلم جرا . اما مصر فلم توضع بين المستعمرات لئلا يُغضب ذلك الدولة العلية ولم توضع في قسم الدولة لئلا يُغضب ذلك انكلترا بل وُضعت على حدة بصورة استثنائية

ولكن ما لنا ولهذه التفاصيل فلنمضِ في سبيلنا نزولاً نحو نهر السين مارين بين البنائين الجزائريين

الساعة ١١ والدقيقة ٥٠ — فنصل الى جسر يِنا قبل الظهر بعشر دقائق فنعرج حينئذٍ هناك على مطعم بازاء برج ايفل لنتغدى . ولا نستطيع الآن الصعود الى البرج لمشاهدة باريز منه لاننا مسرعون كما قدمنا . وهكذا ناكل بسرعة لقمة في الفم ولقمة في الاذن كما جاء في المثل العامي وننهض عن المائدة في الساعة ١٢ والدقيقة ١٥

الساعة ١٢ والدقيقة ١٥ — فنزور حينئذٍ الشان دي مارس مبتدئين من الجانب الايمن بمعرض العلوم والفنون والآداب ومعرض وسائل النقل ثم نصل الى معرض الصنائع الكيماوية ونخرج بعد ذلك من الباب الذي هناك يشرف على حديقة المعرض

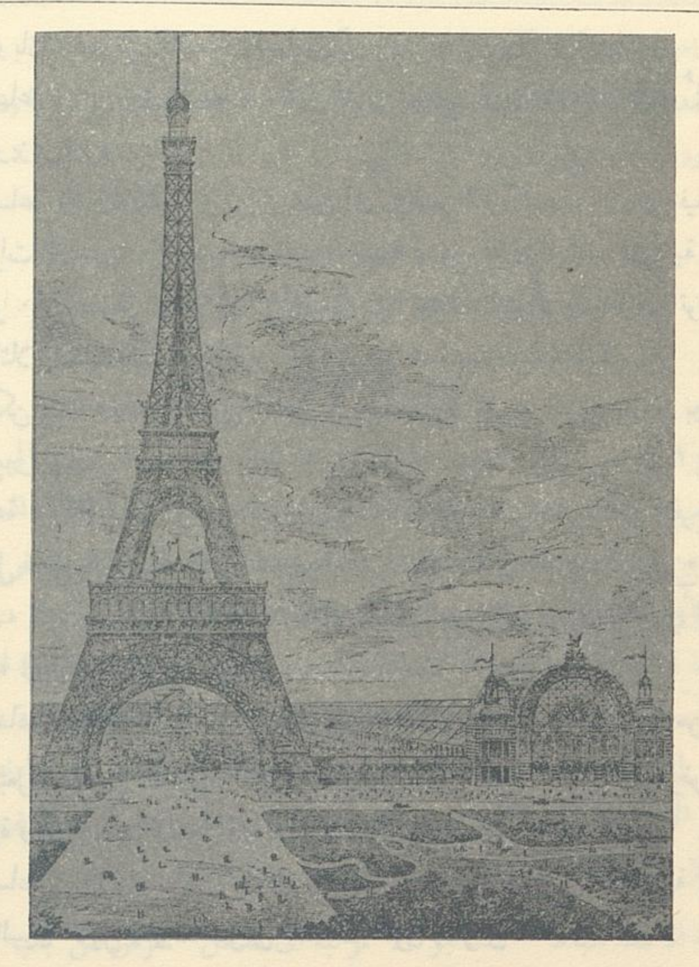
الساعة ١ والدقيقة ٣٠ — فنصل الى شلال قصر المياه ومعرض الكهربائية ثم نعود الى جانب السين الايمن فنشاهد معرض صناعات الغزل ومعرض المعادن

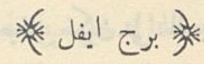
الساعة ٢ والدقيقة ٥٠ — وحينئذٍ نكون على السين فلنركب هناك السكة الحديدية او فلنقف على الرصيف الدائر فنصل الى جسر يِنا حيث تبتدىء معارض الدول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ — وبما اننا لا نستطيع لضيق الوقت ان ندخل كل قسم من اقسام الدول فنكتفي بالمرور على شاطىء السين لنشاهد منه على وجه الاجمال تلك الاقسام الجميلة بين عثماني وروسي وانكليزي وفرنسوي والماني وهلم جرا

الساعة ٤ والدقيقة ١٥ — ثم نمر في طريقنا على قسم المؤتمرات وقسم معرض باريز الزراعى والانفاليد والاقسام التابعة للمعرض هناك

الساعة ٥ والدقيقة ٣٠ — وبعد ذلك نصل الى جسر اسكندر الثالث وهو من اعظم اثار المعرض وهنا يجب ان نسير رويدًا رويدًا ليتمتع النظر بالمناظر الباهرة التي تُرى من




برج ايفل

هذا الجسر

الساعة ٦ — وقبل الخروج من دوائر المعرض التفت لتنظر اجماله نظرة اجمالية كما نظرته تفصيلاً فان منظره من هذه الجهة جدير بالالتفات لروائه وبهائه

الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ — وفي هذه الساعة لك ان تخرج من رتاج المعرض العظيم (بابه الكبير) الذي هو من انخم ابنيته واعظمها نقشاً واتقنها صنعاً

هكذا يُزار معرض باريز في يوم واحد لرسم صورة اجمالية منه في الذهن . بقي علينا ان ننظر ما فيه من الغرائب الفكاهية

برج ايفل — ففيه أولاً برج ايفل الشهير وقد بني لمعرض سنة ١٨٨٩ وعلوه ٣٠٠

متر وهو مصنوع من الحديد طبقات وصانعه المهندس ايفل الفرنسوي وداخله المنازل والفنادق والادوات فكانه مدينة مستقلة بنفسها ويصعد اليه في مراقٍ لولبية استبدلوها في العام الماضي بمراقٍ جديدة فانفقوا عليها وعلى اصلاح هذا البرج ودهنه بالبويا البيضاء ما قيمته مليون و٨٠٠ الف فرنك. واكثر الذين يزورون المعرض يصعدون اليه لمشاهدة باريز من علوه الشاهق على ان مراقيه تصعد في الساعة التي تُشخص اي اكثر من ٢٠ الف نفس في النهار. واجرة الصعود اليه اقلها خمسون سنتيماً واكثرها فرنكان

الكرة السماوية — وثانية غرائب المعرض الكرة السماوية وهي كرة عظيمة قطرها ٤٥ متراً قائمة على اربع قوائم حديدية مرسوم عليها بعض الاجرام السموية بحسب مواقعها وباطنها مجوف فيه جرم يمثل الارض يدور حوله جرم يمثل القمر وهو يدور حول جرم ثالث كبير يمثل الشمس باسلوب بديع تظهر فيه الحركات الشمسية والقمرية والارضية حتى الكسوف والخسوف لان هذه الاجرام تكون منارة بالنور الكربائي ويكون لها منظر ابهر العيون

الطواف حول الارض — والطواف حول الارض من غرائب المعرض ايضاً ذلك انه يوجد قرب السين قاعة فيها رسوم في منتهى الاتقان تمثل جميع بلدان العالم واخصها نسيج طوله ٢٠٠ متر في مثلها عرضاً رُسمت عليه بواخر المساجري وهي تنقل المسافرين حول الكرة الارضية فترى جميع البلدان مرسومة امامك كانك سائح فيها

السفر وانت جالس — ولكن اغرب من ذلك كله ان تسافر في البحر فترى امواجه هائجة والسفينة منخفضة وصاعدة وتسمع اصوات الزوابع وتشم رائحة البحر وترى نفسك سائراً بسرعة شديدة والبحارة يهتمون بالحبال والسفينة . — كل ذلك وانت في الحقيقة جالس على كرسي في وسط غرفة في المعرض . وسبب ذلك انهم يجلسونك على مرسح يمثل سفينة تتحرك ثم انهم بحركات مدبرة متناسبة ينشرون على الجدران رسوماً سريعة الحركة تمثل المناظر التي رأيتها فتحسب نفسك لشدة اتقان التمثيل انك سائر في البحر ترى حقيقة لا خيالاً

قصر الآلة الفلكية — وقد ذكرنا شيئاً في احد الاعداد السابقة عن التلسكوب العظيم الذي يعرضونه في هذا القصر وهو التلسكوب الذي قال العامة فيه انه يرينا القمر كانه على بعد متر واحد . ومما يجدر ذكره ان النظر من هذا التلسكوب الى اجرام السماء مباح لكل

انسان حتى ابسط الزائرين . وفوق ذلك ان المسيو ديلونكل صانع هذا التلسكوب يُري الزائرين فيه ما لم تره عينان قبل الان . يريهم الزوابع تعصف في الهواء ومخلوقات غريبة هائلة تدب في الاجرام السموية و يريهم في نقطة ماء بحرًا خضماً تسبح فيه وحوش هائلة وفي الفضاء مناظر عجيبة غريبة لم يتمثل التصور مثلها . هذا ما عدا رؤيتهم الاجرام السموية وانتظامها البديع

قصر الاحتفالات — ومن ملاهي المعرض قصر الاحتفالات او الاعياد سمي كذلك لانه يتضمن المراسح والاندية الموسيقية . وفيه الآن اكبر مرسح في العالم لانه يسع ١٥ الف شخص والحكومة الفرنسوية تشدد المراقبة الادبية على الروايات التي تمثل فيه لانها تمثل امام الاجانب

وفي المعرض من الملاهي ايضاً قصر النور الذي ينار بلوره بالانوار الكهربائية بصورة تدهش النواظر . وقصر المياه الذي تنفجر مياهه تمازجها دقائق النور بصورة تخطف الابصار والرصيف الدوار الذي يطوف بالواقفين عليه والدولاب الهوائي العظيم الذي يحسب راكبه انه يسوح سياحة في الفضاء والسينماتوغراف والبانوراما على اختلاف مناظرها وكلها مما يقف لديه الانسان مبهوتاً مدهوشاً . هذا ما عدا الملاهي الخاصة باقسام الدول الاجنبية مثل ملاعب التمثيل والاندية الموسيقية وما اشبه

ولا يلوم العقلاء منشئي المعرض لاهتمامهم بالملاهي فيه الى هذا الحد فان ما في المعرض من الشؤون الجدية بين امور صناعية وزراعية وتجارية وعلمية وادبية واجتماعية لاتكون تلك الامور الهزلية بالنسبة اليها شيئاً مذكورًا . وما عدا هذا فان الناس كلهم ليسوا في درجة واحدة من العقل والفهم والمعارض يجب ان تكون على قدر افهامهم . فمنهم من يحسبها كتاباً يقرأ فيه اسمى ايات الاخاء البشري والوداد الدولي . ومنهم من يحسبها مخزناً كبيرًا يستفيد منه صناعة وتجارة وزراعة . ومنه من يحسبها العوبة فيلهو بها كما يلهو الولد بالعوبته . وبودنا ان يكون الشرقيون من الفريقين الاولين وان لا يكون فيهم من الفريق الثالث الا نفر قليل

باب تدبير الصحة

داء التدرن الرئوي

مستشفى لمرضاه في مصر

او سوريا

يموت مائة الف رجل في حرب كبيرة فتقوم قيامة الناس على الحروب ومثيري غبارها وسافكي الدماء فيها · ويفشو وباء يموت فيه عشرون الف نفس فيستكبر الناس الخطب ويستعظمون المصاب · وما دروا ان بعض الامراض المألوفة يقتل في السنة الواحدة اضعاف اضعاف ما تقتله الحروب والاوبئة

هذا داء التدرن الرئوي او مرض السل فان الذين يموتون به في فرنسا فقط يبلغ عددهم ١٥٠ الف نفس في كل سنة · وقس على ذلك باقي البلدان مع حفظ النسبة بين اعتدالها وافراطها · فهل قُضي على الانسانية ان تبقى محصودة بمنجل هذا الداء الوبيل · ام وجد العلم طرقاً لشفائه · ولكن قبل الكلام عن ذلك فلنذكر شيئاً عن ميكروب هذا الداء

✱ ميكروب التدرن ✱ اكتشف الدكتور كوخ ان لداء التدرن ميكروباً خاصاً وذلك في سنة ١٨٨٢ غير ان الدكتور فيلمين الفرنسوي اثبت ان داء السل داء ينتقل بالعدوى قبل كوخ بسبع عشرة سنة اي في عام ١٨٦٥ وذلك بحقنه الحيوانات بيصاق المسلولين وظهور اعراض السل بعد ذلك فيها · وقد سمى الدكتور كوخ هذا الميكروب حين اكتشافه اياه " باسيل " وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية " باشلس " ومعناها القضيب لان هيئة هذا الميكروب مستطيلة قليلاً كالقضيب · وهي جرثومة حية متناهية في صغر الحجم كسائر الميكروبات لا يتجاوز طولها ٣ اجزاء من المليمتر اذا قُسم الى مليون جزء وتتوالد بالتجزوء كسائر الميكروبات · ومما هو جدير بالذكر انها سريعة النمو فربما اصبحت الجرثومة الواحدة منها في بضع ساعات الوفاً من الجراثيم وتمتاز عن كثير من الميكروبات بكونها تفرز سيالاً ساماً هو اصل الداء

﴿ كيفية دخول الميكروب ﴾ اما طرق انتقال ميكروب الداء فكثيرة اهمها شرب اللبن (الحليب) لوجود الجراثيم فيه بكثرة فان لم يُغلَ غلياناً جيداً نقل الداء الى شاربه . ثم اكل لحم البقر المسلولة لان البقر كثيرة الاصابة بهذا الداء ولذلك يجتنب كثيرون الاكل من لحمها . ثم انك لا ينبغي ان تخالط المرضى به وعلى الخصوص اذا كانوا قد تجاوزوا الدرجة الاولى لان الميكروب يكون في هذه الدرجة ضعيفاً لا يعدي . ويجب ان لا يبصق المرضى في الشوارع فان بصاقهم يجف بالغبار ثم تطير ميكروباته في الهواء فيستنشقها الناس ويصابون بالداء . وهذه اهم طريقة لنقل العدوى ولذلك كان من واجبات كل حكومة أن تمنع البصق في الشوارع والاماكن العمومية كما صنع المجلس البلدي في نيويورك في الشهر الماضي حفظاً للصحة العمومية لامن هذا الداء فقط بل من جميع الادواء

﴿ بعد دخول الميكروب ﴾ ولكن من حسن حظ الانسان ان الطبيعة قد تدبرت في وقايته من امور كهذه الامور فان الميكروبات حين يستنشقها الانسان تمر بانفه وعند مدخل الانف كما هو معلوم شعر يعيق بعضها عن الدخول ثم عند المدخل الداخلي سيال يلتقط ما بقي منها . وحين تراكم تلك الاوساخ في الانف ياخذ الانسان منديله وينفضها فيه دفعة واحدة . ولذلك قال الاطباء انه لا ينبغي ان يتنفس الانسان من الفم لئلا تدخل الفضول والجراثيم رأساً الى الشعب الرئوية . فيكون الانف والحالة هذه بمثابة « منخل » يمر منه الهواء وتعلق به الفضول

ولكن قد يحتمل ان هذه الميكروبات تتمكن من عبور الانف والنزول الى باطن الجسم . فهل قضي على الانسان حينئذٍ باصابته بالتدرن الرئوي ؟

كلا . لان هذه الميكروبات تعلق بالشعب الرئوية التي هي مما يلي الرئة فتبقى فيها وحينئذٍ فاسعل قليلاً واتفل تخرجها شيئاً فشيئاً

هذا اذا بقيت الشعب سليمة ولكن اذا فتح الميكروب ثغرة في هذه الشعب ودخل الى الرئة وعشش فيها اصبح الامر خطيراً . ولكن هل يستوجب ذلك اصابة الانسان بالمرض ايضاً

كلا . فان في الرئة بل في كل دم الانسان جراثيم حية تتغذى من الفضول والجراثيم الداخلة اليها من الخارج . فاول ما يدخل ميكروب التدرن الى الرئة تبادر جراثيم الجسم

الى هذه الجراثيم الغريبة لأ كلها فينشب قتال بين الفريقين . فاذا كان دم الانسان قوياً وبنيته صحيحة وصحته جيدة قويت جرثومة الدم على الجراثيم الغريبة فابتلعتها وهضمتها وخلصت الجسم من شرها . ولكن اذا كانت عكس ذلك اي ضعيفة عاجزة قويت عليها جراثيم المرضى فعششت في الرئة وتولدت التولد السريع الذي ذكرناه

فيكون المانع الاكبر من اصابة الانسان بالتدرن الرئوي بل من جميع الامراض قوة البنية وجودة الصحة وخصب الدم . ولذلك فان هذا الداء اكثر ما يكون انتشاره بين العملة الذين يعملون في اماكن غير نقية الهواء او بين الطبقات الواطئة السيئة الغذاء

والآن فلنفرض ان هذا الميكروب القبيح استطاع عبور الانف ثم نفذ الى الشعب ومنها الى الرئة فالتقى فيها بجراثيم الصحة فقاتلها وتغلب عليها . هل قُضي الامر حينئذٍ وانقطع الرجاء من خلاص المصاب

﴿ الدواء ﴾ كلا فان هذا الداء الذي كان في الاعوام الماضية مما ترتجف له الابدان اصبح اليوم بفضل العلم داء قابلاً للشفاء التام اذا اتخذت له جميع الوسائل الصحية اللازمة . وهذا هو الغرض من انشاء هذا الفصل

ويسرنا هنا ان نقول ان مجلة « الطبيب » في بيروت قد اقترحت في احد اجزائها الماضية انشاء « مستشفى للمسلولين » ومن سوء الحظ ان اكثر جرائد سوريا فضلاً عن جرائد الاستانة ومصر لم تعضد هذا الاقتراح كما كان يجب ولعل ذلك لعدم قدرها قدر فنحن تأييداً له وتبياناً لمنافعه نقول كلمة في مستشفيات المسلولين التي هي الدواء الوحيد لهذا الداء

واول من انشأ هذه المستشفيات هم الالمانيون . فانهم انشأوا منها منذ ٥ سنوات ٢٥ مستشفى وهم آخذون الآن بانشاء ٢٥ مستشفى غيرها ومن غرائب شفائها انها تشفي ٩٥ في المائة من المرضى الذين يدخلون اليها في بدء مرضهم وهذا بمثابة شفائها المرض تماماً

وقد بنوها على ثلاثة قواعد

(١) الهواء النقي . فانهم يبنون المستشفيات خارج المدن في الغابات بين الاحراش ويجعلون الغرف المتطرفة الكثيرة الهواء غرفاً لنوم المرضى ويبقون نوافذها مفتوحة في الليل والنهار والصيف والشتاء ويحملونهم على قضاء اوقاتهم كلها تحت الاشجار في الهواء النقي

اذا كان الجو صاحياً والهواء دافئاً واذا كان الجو غير دافىء جعلوهم يجلسون في مجالس خصوصية بنوها لهم في الرياض وهي مستورة من جميع الجهات الا من جهة الجنوب · وهكذا يستنشقون الهواء النقي وهم يطالعون او يتحادثون اكثر النهار وعلى اجسامهم الملابس الدافئة اللازمة

(٢) حسن التغذية · فان المريض ينهض من النوم فيرتب فراشه ويستحم في حمام قريب « بالدوش » ثم ينزل الى قاعة الاكل فيتناول في وقعته الاولى ما شاء من اللبن (الحليب) والخبز والزبدة · ويتناول وقعة ثانية في الساعة التاسعة ونصف وهي كالوقعة الاولى · ثم ياتي وقت الغداء فيا كل ما شاء من الخبز واللحم المشوي والخضر والفاكهة واللبن ويشرب شيئاً من البيرة (الجعة) · وفي الساعة الرابعة يتناول الوقعة الثالثة وهي مؤلفة من اللبن (الحليب) والقهوة والخبز والزبدة · وفي الساعة السابعة يتناول الوقعة الرابعة وهي العشاء وطعامها كطعام الغداء · وفي كل هذه الوقعات يا كل المريض قدر ما يشاء كما ذكرنا

(٣) الراحة التامة · وبعد الطعام يذهبون جميعاً الى قاعة خصوصية فيغسلون افواههم واسنانهم بمحلول مطهر ثم يذهبون الى النزهة في الغابة بين الاشجار او في الحديقة او الى المطالعة في مكتبة المطالعة التي في المستشفى او الى النادي الموسيقي الذي فيه ايضاً.

وبالجمله فان المرضي لا همّ لهم الا استنشاق الهواء النقي دائماً والتغذي جيداً جيداً والراحة التامة المطلقة · هذا هو الدواء الوحيد لداء التدرن

وقد نجحت هذه المستشفيات في المانيا نجاحاً حمل جميع الامم على التشبه بها والنسج على منوالها فقامت تنشىء المستشفيات الصحية لمرضاها · فغير غريب ان تكون مجلة الطبيب قد اقترحت انشاء واحد منها في لبنان ذي الهواء العليل والماء النمير ولكن الغريب ان لا يُنشأ هذا المستشفى في وقت قريب

اما مصر فقد قرأنا يوماً في الجرائد المحلية ان شركة اوربية تنوي ان تقيم فيها مستشفى صحياً من هذا النوع ولكن لم نعد نسمع شيئاً عن تلك الشركة · ولا شبهة في ان هواء مصر موافق جداً لهذه المستشفيات على انه اذا انشىء مستشفى في مصر استغني به عن مستشفى لبنان · واذا انشىء مستشفى في لبنان استغنى به عن مستشفى مصر · ولا ندري الآن من يكون السابق الى هذا العمل المفيد

كلمات زراعية

الزراعة في تونس

كُتب من تونس عن زراعتها ما يلي

الشؤون الزراعية عندنا من اهم حاجات هذه البلاد لان البلاد التونسية بلاد زراعية والزراعة عندنا قد تقدمت تقدماً بعيداً . نعم ان اكثر الوطنيين لا يزالون جاهلين باصول الزراعة العلمية فيزرعون اراضيهم كما كانوا يزرعونها منذ ٥٠ سنة مثلاً ولكن كبار زراع الوطنيين وجميع زراع الاجانب الذين يتوافدون الى هذه الجهات كلهم يعملون بالقواعد العلمية في زراعاتهم فتزكو وتنمو نماء غريباً

وقد نفعتنا الابار الارتوازية في الجهات القاحلة المجدبة هنا نفعاً عظيماً ونحن نحفرها في كل مكان ليس فيه مياه فتتحول الارض بعد عدة سنوات من حفر هذه الابار الى جنائن غناء لانه حيثما كان الماء كان الخصب والسعة والخيرات

ولكن من الاسف اننا مع كل التسهيلات التي حدثت عندنا للزراعة لا يزال كثيرون من التونسيين معرضين عن هذه الصناعة مع انها حياة بلادهم الوحيدة . ويكفي ان ابرهن على صحة ذلك بقولي ان المدرسة الزراعية الكبرى التي انشئت عندنا لم يدخل اليها الاَّ ٣ شبان من شباننا مع ان عدد التلامذة فيها من الفرنسويين والاجانب يزيد عن المائة . ونحن نعلم ان هذا التقصير في الشؤون العملية امر شائع بين جميع شبان الشرق ولكن الشبان في كبرهم اذا كانوا يُعذرون لانهم لا يعملون الاعمال الصناعية والزراعية التي فيها حياة البلاد فما عذر ابائهم الذين لا يدخلونهم منذ صغرهم في المدارس الصناعية والزراعية ليربوا فيهم الميل الى استخراج خيرات الارض واسعاد انفسهم واهل وطنهم بجدهم واجتهادهم

ولو قابلنا بين هذه الحالة المحزنة وحالة الاجانب الذين يتوافدون الى بلادنا من كل صقع وناد لشراء الاراضي الزراعية وانشاء المزارع وبناء القرى فيها لتولانا اليأس من خمول اخواننا وتهجم الغرباء على اراضينا المخصبة لامتلاكها واستثمارها . ولكن يسرني ان اقول ان الحكومة الفرنسوية قد انتبهت الى هذا الداء ورأت من الواجب ان تتلافاه بتسهيل

امتلاك الاراضي للوطنيين والفرنسو بين القادمين الينا ٠ ذلك انها تبتاع اراضي واسعة شاسعة وتجري اليها المياه ثم تقسمها حصصاً حصصاً وتطرحها للبيع باثمان قليلة مقسطة تقسيطاً ولكن لا يجوز شراء هذه الاراضي الا للفرنسو بين والاهالي و بذلك يزداد عدد الزراع والملاك الوطنيين والفرنسو بين بازاء عدد الايطاليين والاسبان وغيرهم من الاجانب الوافدين الينا كالجراد المنتشر

وقد اشترت الحكومة اخيراً اراضي المورناغيا وهي ارض شاسعة مساحتها ٤ الاف هكتار على مسافة ٢٠ كيلو متراً من تونس وستخصص منها ٣٠٠ هيكتار لعشرين تلميذاً من تلامذة المدرسة الزراعية الذين انهوا دروسهم حديثاً لينشئوا فيها مزارع وقرى ويخرجوا ما في تربتها من الخيرات

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان المسيو اوليفيه مدير مجلة العلوم العمومية وفد الى تونس مع وفد عظيم من كبار باريز للسياحة في بلادنا وافتقاد زراعتها واحوالها ٠ وقد ذهب هذا الوفد اخيراً للسياحة في واحة قابس فسار معهم الجنرال الجرو الحاكم العسكري ليدلهم على تلك الجهات فزاروا واحة قابس وابصروا العملة ينشئون فيها الترع والخلجان لصرف مياه النبع اليها ومنعها من الجري الى البحر ضياعاً

وقد قال الجنرال لهم وهو يريهم اشجار النخيل الباسقة وما تحتها من البساط السندسي والنباتات النامية ان العناية بهذه الواحة تجعلها في كل عام اكثر اتساعاً حتى ياتي يوم تتضاعف فيه مساحتها اضعافاً ولا تضيع نقطة ماء من مياهها في غير ارضها المخصبة

ثم زار هولاء السياح آكام بوكات و بايدا وشاهدوا منها بساتين اشجار الزيتون المصطفة صفوفاً صفوفاً كانها جنود في ساحة القتال تغيب في الافق البعيد لاتساع مساحتها فاعجبوا بخصب تلك الاراضي التي كانت منذ سنوات غير بعيدة قفاراً جدباء وثبت للناظر ما يصنعه الكد والاجتهاد ٠ فما مولنا ان ينتبه التونسيون وغيرهم من الشرقيين الى هذه العبرة فلا يتوانوا في تعلم الشوؤن الزراعية ولا يحجموا عن استخدام رووس اموالهم في استثمار اراضيهم والاسبقهم اليها السابقون وكانت العاقبة للعاملين

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تربية المرأة

يكون الرجال كما يريد النساء

ابنة فخطيبة فزوجة فام فجدة . تاثير المرأة في هذه الادوار . عقاب اهمال تربيتها
واقع علينا . عالم جديد يتحادث فيه المجتمعون بدل ان يلعبوا

عرف القراء الذين تتبعوا ما كتبناه في هذا الباب المعنى المقصود من احدى العبارتين اللتين صدرناه بهما وهي : " ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة "

بقي علينا ان نتكلم عن الكلمة الثانية وهي " يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا فضلاء وعظماء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة "

والذي يزيدنا رغبة في الكلام عن هذا الموضوع طلب كثيرين من القارئات والقراء . فان بعضهم يرسل الينا يقول : النساء النساء تكلموا عن النساء . وغيره يقول ما معنى قولكم يكون الرجال كما يريد النساء ونسي هذا السائل ان هذا القول لجان جاك روسو لا لنا كما ان القول الثاني عن المدرسة هو لاستاذنا الفيلسوف جول سيمون رحمه الله وتقول بعض القارئات " نحب ان نقرأ تفسيركم لهذه العبارة : " يكون الرجال كما يريد النساء " وسالت واحدة اخرى : لماذا لا تتكلمون عن تعليم البنات في باب التعليم والتربية كما تتكلمون عن تعليم الفتيان . وسالت واحدة اخرى لماذا نسيتم النساء . وقالت ثانية ما هو دواء ضجر ربة البيت . وسالت ثالثة ما هي واجبات الابنة العاقلة . ورابعة : ما هي واجبات ربة البيت . — كل هذه الاسئلة جاءتنا مع كثير غيرها فاخرناها الى اليوم لنجيب عنها في مقالة خصوصية

واول ما نجيب به اننا لم ننسَ النساء في ما كتبناه الى الآن عن التربيـة والتعليم ذلك لاننا نعتبر ان الكلام في اصلاح التربية العائلية والتربية المدرسية كلام في تربيـة الفتيان والفتيات معاً . فاذا كان ذلك كذلك افنكون قد نسينا النساء

معاذ الله ان ننساهن . معاذ الله ان ننسى ملكات الكون ورياحين الوجود اللواتي في ايديهن مستقبل الامم وازمة الشعوب لانهن مربيات الاجيال ومنشئات الرجال . وانما قصرنا الكلام على الرجال لان الكلام عنهم يشملهن ايضاً

ولكن لا مندوحة لنا عن الاعتراف بانه كان الاجدر بنا قصر الكلام على تربيـة النساء لان الكلام فيها اعم من الكلام على تربية الرجال لكونهن المربيات المثقفات . فاذا رُبين تربية حسنة استطعن ان يربين النسل كله كذلك . وهذا معنى قول " ايمه مارتين — متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال لان النساء يربينهم لا محالة . وقول روسو" كما يريد النساء يكون الرجال فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

وزيادةً في تفسير هذه العبارة وايضاح المعنى المقصود منها اجابة للسائلين والسائلات نقول

تقسم هذه العبارة الى قسمين . الاول " يكون الرجال كما يريد النساء " وهي القضية والثاني اذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة " وهي النتيجة

اما القسم الاول فمقتضاه ان المرأة متسلطة على الرجل فتجعله كما تريد . وهو قول فاسد وصحيح معاً . يكون فاسداً لدى كل الامم اذا اعتبرناه من حيث الظاهر ويكون صحيحاً لدى كل الامم ايضاً اذا اعتبرناه من حيث الحقيقة الطبيعية

اما فساده فظاهر من ان الرجل هو المتسلط شرعاً على المرأة في كل البلدان وجميع الاديان لا المرأة على الرجل واما صحته فظاهرة من ان المرأة هي المتسلطة ادبياً واجتماعياً على الرجل لا الرجل على المرأة

ويكفي لاثبات ذلك ان ننظر الى ادوار عمر المرأة وتاثيرها في كل منها

المرأة تكون ابنة ثم خطيبة فزوجة فاماً فجدة

خمسة ادوار جميلة تتقلب فيها بين طهارة الصبوة وجمال الشباب ووقار الشيخوخة . وهي في كل منها متسلطة على قلب الانسان وحاكمة عليه

فانها اول ما تولد ياخذ ابوها بالتفكير والتدبير استعداداً لزيادة رزقه على نسبة زيادة نفقته . لان « المدموازل » اذا كانت اليوم صغيرة فانها ستصبح غداً كبيرة . غداً تحتاج الى الحلل الجميلة وتطلب القبعات النفيسة وبعد ذلك ياتي « النصيب » فيطلب المال فوق الجمال والكمال . وكل ذلك يزيد النفقة . ومعلوم ان توقع زيادة النفقة يزيد اجتهاد الانسان ونشاطه في الكسب والتحصيل . فالابنة اذاً تجلب لوالديها يوم ولادتها نشاطاً جديداً واجتهاداً جديداً يوجبان عليهما ان يفرحا بولادتها لا ان يحزنا كما يحدث احياناً عندنا . فهي اذاً من صغرها تبدأ بالتاثير والتسلط على ما حولها . فما اعظم هذه القوة التي تتسلط حتى في بدء طفوليتها

ثم ينقضي دور الصبوة بطيشه ونزقه وياتي دور الشباب بجماله وكماله . ومن هنا يبدأ التاثير العظيم الذي يفوق كل تاثير في الوجود والسلطة الكبرى التي تفوق كل سلطة في العالم

كانت تلك الفتاة امس ولداً في المدرسة تلعب وتثب غير مكترثة بشيء من هذه الحياة . همها مقصور على رضى امها ومعلمتها ودرس مثالتها واشباع معدتها ومداعبة لعبتها . ولكنها اليوم اخذت تهدأ شيئاً فشيئاً . هوذا الورد اخذ يتفتح في الخدود . والعيون اخذت تذبل وتتجلل بثوب من البهاء جديد . والنظر صار مطرقاً . والفكر مبهوتاً . والراس محنياً كوردة اثقلها الندى . والوجنات شديدة التأثر كلمة تفضها وكلمة تعسجدها . فما هذا الانقلاب العجيب الذي حدث . لا شيء سوى ان « ملكة » الوجود قد بلغت سن الملك والسلطة . لقد قبلتها الطبيعة الجميلة في فمها القرمزي الجميل والبسها الحسن تاج الملك ودفع اليها الشباب صولجان السيادة

ثم مرَّ الرجل فابصر هذا السلطان فخضع صاغراً . خضع لانه كُتب له الخضوع كما كُتب لها السيادة . فاصبح همه مقصوراً على رضى حاكمته . ما يُرضيها واي شيء يسرها؟ هل ترضيها الحلي والحلل . والخيل والخول . والمراقص والمتنزهات . هيا اذاً وانفق المال بلا حساب . ايرضيها المزاح الكثير فاجعل نفسك مزاحاً . او المقامرة الكبيرة فاجعل نفسك مقامراً كبيراً . او الادب والحشمة والاعتدال فاجعل نفسك اديباً ومحتشماً ومعتدلاً . كل ذلك اكراماً لعيونها لانه لا يهمك وقتئذٍ شيء في هذه الحياة الا رضاها

ثم ان هذه الفتاة الخطيبة تصبح زوجتك اي انك توليها على شرفك وبيتك ومالك فيكون القول قولها والامر في كل ذلك لها . ثم تصبح اماً اي ان الطبيعة تهبكما ثمرة حبكما

واتفاقكما وتوليها على مخلوق لطيف لتربيته فتكون هي القابضة على مستقبل ولدك وعيلتك . ثم ان هذه الام يشب اولادها فتبقى بازائهم سيدة عليهم . ثم يتزوجون فتبقى مراقبة عليهم وعلى اولادهم كانها رمز الى الماضي والمستقبل و بركة للبيت الذي يعيشون فيه

فالآن قولوا لنا . هذه الفتاة التي لها السلطة المطلقة على الرجل وهو شاب خطيب تتصرف به كيفما تشاء وتجعله يصنع ما تشاء . هذه الفتاة التي تقبض على زمامه اراد ام لم يرد لما يصبح زوجاً لها وتزداد سلطة عليه لما تصير اماً ويصير اباً . هذه الفتاة التي نسلمها شرفنا وقلبنا ومنزلنا والتي تسلمها الطبيعة النسل لتربيه لنا . هذه الفتاة التي يكون لها تاثير عظيم كهذا التاثير وسلطان قوي كهذا السلطان اية تربية ربيناها لتحسن القيام بكل تلك الواجبات الصعبة . سلمناها شرفنا وشرفها وشرف العائلة فهل اعطيناها السلاح لتدافع به عنها؟ سلمناها البيت وما فيه ومن فيه فهل ربيناها التربية اللازمة لتحسن الاعتناء به والقيام عليه . جعلتها الطبيعة سيدة الوجود و ريحانة الكون فهل علمناها كيف تستعمل سيادتها لتفضي بنا الى الخير بدل ان تفضي الى الشر

كلا لم نعلمها شيئاً من ذلك بل تركناها تنغمس في الازياء والملاهي والالعاب . صارفين فكرها عن الامور النافعة لها ولمنزلها هذا اذا لم نسجنها بين اربعة جدران هائلة . فاخطأنا بذلك اليها والى انفسنا والى النسل والهيئة الاجتماعية كلها

ذلك لان اهمال تربية المرأة ذنب تقع تبعته على كل مسئول عن هذه التربية . على العائلة اولاً وعلى كل فرد ثانياً وعلى الهيئة الاجتماعية ثالثاً

على العائلة لان المرأة التي هي ربتها ومدبرتها اذا كانت بلا تربية فان الجهل والاهمال والشقاء يكون سائداً فيها . وعلى كل فرد لان كل فرد يجب ان يمرّ بين ايدي الامّ فاذا كانت جاهلة اساءت تربيته فكان جاهلاً . وعلى الهيئة الاجتماعية كلها لانها مجموع الافراد فاذا كانوا جهالاً كانت الهيئة مجموعة جهل لا غير

فالطبيعة اذاً تعاقبنا على اهمال تربية المرأة دون ان ندري بهذا العقاب

ولكن اشد عقاب تعاقبنا به على ذلك هو العقاب الادبي . فان المراة ملكة كما قدمنا ملكة وكل واحد من الرجال يخطب رضاها . فما هو رضى المرأة . وكيف يُنال هذا الرضى

هنا عقدة المسالة . فان البسيكولوجيين يقولون ان رضى الانسان يُنال بمجاراة اهوائه ومشاركته فيها . فاذا كان سكيراً وجعلت نفسك سكيراً مثله اصبحت صديقاً حميماً له

وربما اغنتك صداقة الكاس والطاس عن كل شيء · وهذا امر من الامور المشاهدة في كل يوم. اذا كان نماماً فنمّ معه ومحباً للتمليق فملقه وكذاباً فاكذب فانك بذلك تكتسب صداقته لا محالة · وكذلك اذا كان فاضلاً واديباً وعاقلاً فكن مثله تكتسب صداقته لانك تصيب هوى نفسه وتكون شاعراً بعواطفه ومن اجل هذا قال الشاعر « ان الطيور على اشكالها تقع »

فالآن والرجل محتاج الى رضى المرأة كما ذكرنا احتياجاً جنسياً واحتياجاً ادبياً اجتماعياً كيف تكون حاله معها اذا كانت جاهلة لا يهنأ لها عيش الا بالطيش والمزاح والاسراف واللعب والنميمة والمراقص والجمعيات واهمال المنزل والقاء حمل الاولاد على الخدمة والمراضع · الا يضطر طلباً لرضاها الى مجاراتها في كل ذلك فيكون طائشاً مزاحاً مسرفاً لاعباً وهلم جرا الى آخر ما في دركات الهيئة الاجتماعية · اذا كانت امراة تضحك من الادب والمتادبين في قاعة الا يسبقها الى ذلك كل الشبان والرجال الحاضرين ارضاء لها · اذا كانت تضحك من فلانة لانها لا تلعب ومن فلان لانه لا يغني ويصرخ ويمزح اضحاكاً للحاضرين الا يصبح جميع الرجال الجالسين في ذلك المجلس صراخين مزاحين اضاحيك · نعم لانه يجب ان يرضوا النساء · ينبغي ان لا يضجر النساء · يلزم ان تسرّ النساء · وهذا معنى قول روسو « يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

فانتن اذاً ياسيداتنا الجميلات رئيسات الهيئة الاجتماعية · انتن ملكات الملوك وسلطانات السلاطين · فرحماكن لا تصرفن هذه القوة والسيادة اللتين في ايديكن الى الامور التافهة المضرة بكن وبالهيئة الاجتماعية بل اصرفنها الى الامور المفيدة لكن ولمنازلكن وذويكن والهيئة الاجتماعية

رحماكن وبعيشكن اوجدن لنا عالماً جديداً غير عالمكن الذي اصبح العقلاء لا يستطيعون المعيشة فيه · بل اصبحوا — واسمحن لنا ان نقول ذلك — يانفون من المعيشة فيه عفواً · انهم يانفون ذلك لا من اجلكن فان الورد في الرياض والنجم في السماء والطيب في القارورة لا يملها الا البله ولا يانف منها غير الحمقى · ولكنهم يانفون من خشونة الذين يتخذون في تلك المجالس بساطتكن وخفة ارواحكن ذريعة لاظهار ثقل ارواحهم وفساد آدابهم

وهذا العالم الجديد الذي نطلبه هو عالم يكون ميلكن فيه مصروفاً الى الامور النافعة المفيدة · عالم يتقرب فيه الرجال اليكن بالاعمال الحميدة وطيب الاحدوثة والادب والفضيلة

والعلم والمعرفة فتكون هذه الفضائل هي الرائجة لديكن المقربة منكن لا نقيضها من ضروب الخلاعة والجهالة · ومتى صارت هذه اميالكن تلطفت خشونة الرجال وتغيرت اميالهم حرصاً على رضاكن لانه « يكون الرجال كما يريد النساء »

ونحن لا نجهل اعتراضكن على هذا الكلام · فانكن تقلن اولاً « لماذا لا تعكسون القضية فتقولون « يكون النساء كما يريد الرجال فاذا كانوا فضلاء وعظماء كان النساء فاضلات وعظيمات » فاننا نحن انما نظهر للرجال بالصفات والحالات التي يحبونها »

وتقلن ثانياً « اذا كنتم ترغبون ان نكون فاضلات وعظيمات الا يجب اولاً ان تطلبوا من الرجال ان يربونا تربية تجعلنا كذلك »

نقول اما الاعتراض الثاني فانتنّ مصيبات فيه وسنتكلم عن هذه التربية بالتفصيل في الجزء التالي ان شاء الله

واما الاعتراض الاول فانتنّ غير مصيبات فيه · لان الهيئة الاجتماعية لا تربح اذا جعلت الرجل مرجع الذوق والادب والعظمة والفضيلة في هذا العالم · الرجل من طبعه الخشونة ومن طبعكن اللطف · من طبعه الاثرة والقسوة والطمع وانتن من طبعكن الشفقة والحلم وصنع الجميل · وان لم يكن ذلك من طبعه فاعماله ومصالحه تشجعه على ذلك ان لم نقل انها تقضي به عليه · فاذا كان في ايديكن ميزان اللطف والادب والشفقة والحلم وصنع الخير وسائر الفضائل البيتية فكيف نجعل الرجال مرجعها ومقياسها

كلا ثم كلا · ليس من احد غيركنّ دعامة هذه الفضائل في هذه الحياة · انتن بيننا المربيات المهذبات المسعدات المعزيات · اذا رأى الانسان ان كل شيء في هذا العالم يسقط كمنازل مبنية من الورق او بيوت مؤسسة على الرمال · اذا رأى الراحة خيالاً لا يُقبض عليه · البشر وهم اخوان يتقاطعون و يتذابحون كالذئاب الضارية · الاصدقاء ينسى بعضهم بعضاً · الاقربون يقوم بعضهم على بعض · العالم فوضى فيه شياطين الظلم والطمع والغش والاعتداء والسلب تتسابق لافساد الارض ومن عليها — اذا رأى الانسان كل ذلك لا يسعه الا ان يفتش بنظره عن وتد يتمسك به في وسط هذه الزوابع الهائلة وكوة يدخل منها اليه النور وسط ذلك الظلام الحالك · فلا يرى حينئذٍ الا وجهك الباسم ايتها السيدة · يا ايتها الاخت والابنة والزوجة والام والجدة · فبالحال ينقلب ذلك السواد بياضاً والعناء هناء بنظرة او نظرتين من عينيك السحريتين وبسمة او بسمتين من شفتيك الجميلتين · فانت اذاً ممثلة الكمال والهناء والراحة والادب والفضيلة في هذا

العالم لا الرجل . لذلك نطلب منك ان تكوني اكثر منه كمالاً لتكوني له قدوة وجمالاً ومثالاً . ولذلك نقول مع روسو ولو غضب الرجال « كما يريد النساء يكون الرجال »

صفحة الشعر

للمعار في انخفاض النيل

اعدى احتراق النيل اكباد الورى — فغدت تذوب تلهباً وتلهفا
وتزايدت نيرانه من نقصه — فاذا به طاف البلاد وقد طفا

وله في الفيضان الذي سيتم قريباً ان شاء الله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت — عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره — فاستكثر الماء في عينية ثم عمى

وله فيه وفي الخزان

حزن الخزان لما ان راى — نيلنا قد عمّ سهلاً وجبل
وراى الارض لنا قد اخرجت — سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه — زادها الله عروقاً وسبل

لاحمد بك شوقي في « اسد وضفدع »

انفع بما اعطيت من قدرة — واشفع لذي الذنب لدى المجمع
اذ كيف تسمو للعلى يافتى — ان انت لم تنفع ولم تشفع
عندي لهذا نبأ صادق — يعجب اهل الفضل فاسمع وع
قالوا استوى الليث على عرشه — فجيء في المجلس بالضفدع
وقيل للسلطان هذي التي — بالامس آذت عاليَ المسمع
تنقنق الدهر بلا علة — وتدّعي في الماء ما تدعي
فانظر اليك الامر في ذنبها — ومر نعلقها من الاربع
فنهض الفيل وزير العلى — وقال يا ذا الشرف الارفع
لا خير في الملك وفي عزه — ان ضاق جاه الليث بالضفدع
فكتب الليث امانا لها — وزاد ان جاد بمستنقع

قال ابو تمام في السيف والقلم

السيف اصدق انباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال المتنبي

حتى رجعت واقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

ولكن ابن الرومي يقول

ان يخدم القلمُ السيف الذي خضعت له الرقابُ ودانت خوفه الامم

فالموت (والموت لا شيءٌ يعادله) ما زال يتبع ما يجري به القلمُ

كذا قضى الله في الاقلام اذ بُريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

باب الاخبار العلمية

﴿ كم ارضاً توازن الشمس ﴾ ثبت لاحد علماء الفلك انه اذا وضعت الشمس في كفة ميزان وجب ان توضع ٣٢٥ الف كرة بحجم كرتنا الارضية في كفته الثانية لتساويها في الوزن اي ان وزنها اخف من وزن الشمس ٣٢٥ الف مرة

﴿ اختراع حربي عجيب ﴾ كتب العالم نقولا تسلا الكهربائي الشهير الذي يناظر اديسون في هذا الزمان مقالة يقول فيها انه اخترع اشخاصاً كالبشر يتحركون كرّاً وفرّاً هجوماً ودفاعاً صفوفاً صفوفاً وفي ايديهم الحراب والسيوف والبنادق يطلقونها و يضربون بها من يقف في طريقهم فيكون كل شخص منهم قائماً مقام جندي في الحرب وهكذا فهو يستطيع زيادة عدد الجنود الى ما شاء الله . فاذا صح هذا الاختراع كان له شأن عظيم

﴿ خبز بلا اختمار ﴾ كتب احد ضباط الجيش الفرنسوي الى وزير الحربية يبلغه انه اكتشف طريقة لاختمار الخبز من غير خميراي بواسطة صناعية لا تستوجب انتظاراً فارسل وزير الحربية يستدعيه الى باريز لتجربة اكتشافه . فاذا صح نفع الجيوش في ايام الحرب نفعاً عظيماً وذلك بسرعة اعداد خبزها

﴿ الماس الصناعي ﴾ اخترعوا طريقة جديدة لصنع الماس وهي اشعال الفحم بمجرى كهربائي والضغط عليه ضغطاً شديداً على سندان يحتمل الضغط مهما اشتد فيتبلور الفحم وينقلب ماساً

﴿ معرفة بُعد الزوابع ﴾ اذا اردتَ معرفة مسافة الزوابع المنتظر هبوبها فانظر الى البرق . فاذا خفق فاحصِ الثواني من حين خفقانه الى حين وصول صوت الرعد الى اذنيك ثم اضرب هذا العدد بثلاثمائة و٤٠ وهي قياس سرعة الصوت في الهواء في كل ثانية . فالحاصل هو مسافة بعد مركز الزوبعة عنك امتاراً

﴿ آلة جديدة للانتحار ﴾ لم يكتفِ الاميركيون بانهم انشئوا في بعض مدنهم جمعيات يتعهد اعضاؤُها بانهم ينتحرون تخلصاً من هذه الحياة بل اخترعوا اختراعاً جديداً يُسهل لهم هذا الانتحار ودفن جثثهم بعده . وذلك انهم يحفرون القبر الذي يطلبون ان يُدفنوا فيه ثم يضعون بازائه الآلة المذكورة وفيها الكلس (الجير) الذائب . ثم يتمددون في الحفرة ويضغطون على زر الآلة فتتصل بهم منها مجرى كهربائي يقتلهم للحال ثم تاخذ الآلة من تلقاء نفسها برد الكلس والتراب عليهم حتى تمتلئ الحفرة فاذا كان الرجل لم يمت من الكهربائية مات بالكلس والتراب

﴿ كسوف الشمس وبيض الدجاج ﴾ لاحظ احد فلاحي المانيا ان الدجاج التي في مزرعته قد ذُعرت يوم كسوف الشمس وفرت الى بيوتها وباضت فيها في المساء بعد بيضها في الصباح فتكون قد باضت مرتين في يوم واحد . وقد روى صحافي اميركي ان الفلاحين في ولاية جيورجيا بعد اطلاعهم على هذا الامر صاروا يُذعرون الدجاج في البيوت ويجعلونها في ظلمة كظلمة الكسوف فتبيض في النهار مرتين . اما الجرائد الاوربية فانها تضحك من هذه الغرابة الاميركية

﴿ نور النجوم والقمر والشمس ﴾ ان نسبة النور المنبعث من النجوم الينا نسبة نور شمعة موضوعة على مسافة ٢٠ كيلومتراً منا اي لا شيء . اما القمر فان نسبة نوره الينا كنسبة شمعة موضوعة على ٥ امتار منا . اما نور الشمس فانه يقتضي ان يُجمع محصول العالم من الفحم الحجري مدة ٦٠٠ الف سنة كومة واحدة ويُشعل بالنار فيكون له نور مساوٍ لنور الشمس

﴿ نور الحباحب ﴾ ثبت لاحد علماء الطبيعة ان نور الحباحب غير ناشئ عن حياتها ولكن عن احتراق مواد في غاية الضعف في باطنها . وهذا النور يبقى بعد موت الحباحب واذا وُضع على الترمومتر فانه لا يُصعده الا جزءا من مليون اذا قُسمت درجة الحرارة الى مليون جزء . . .

﴿ المدافع وبرد السماء ﴾ يُنتشر في اور با استعمال المدافع لمنع نزول البرَد وقد بلغ عدد المحطات التي اقيمت في ايطاليا الفي محطة فيها المدافع تُطلق على الغيوم وقاية للزرع من بردها وثمن كل مدفع ١٦٠ فرنكاً فقط وهو يحشى كل مرة ١٠٠ غرام من البارود وكل مدفع يحمي ٢٥ هكتاراً من الارض

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المكتبة الشرقية في القاهرة ﴾ اهدى الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في القاهرة ست روايات من الروايات التي طبعها على نفقته وتباع في مكتبته . الاولى رواية لايس وهي جزءان احدهما تعريب المرحوم شاكر شقير والثاني تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا . والرواية الثانية رواية غصن البان تاليف الشاعر لا مارتين الفرنسوي الشهير وتعريب فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد . والثالثة رواية الفتاة النهيلستية . والرابعة رواية الامير النهلستي تعريب جناب الاديب يوسف افندي طوا . والخامسة السمر في السهر وهو « كتاب يحتوي على حكايات فكاهية والاوهام التي يعتقد بها العامة من الافرنج والشرقيين والعاب الورق الفكاهية والحوازير الحسابية ولغة الازهار ونوادر لطيفة وغير ذلك » وكلها تُطلب باثمان بخسة من هذه المكتبة

﴿ التيبيكون ﴾ جمع حضرة العالم الفاضل الارشمندريتي جراسيموس مسرة رئيس كنيسة السور بين الارثوذكس في الاسكندرية ترتيب الفروض الكنائسية الارثوذكسية في كتاب حسن التبويب والوضع وطبعه على نفقته ليوزع على كنائس الكرسي البطريركي

تذكارًا لارتقاء غبطة البطريرك السيد ملاتيوس الى هذا الكرسي وقد اهدى الينا نسخة منه فنشكر له هديته

﴿ جمعية عيادة المرضى ودفن الموتى في يافا ﴾ وردت الينا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية لعيادة المرضى ودفن الموتى في يافا فوجدنا فيها دلائل النشاط والاجتهاد في سبيل صنع الخير مما يوجب الثناء الجزيل على غبطة رئيسها وجناب نائب رئيسها ابرهيم افندي القدسي. وقد بلغ مجموع دخلها ٥٢١٣١ غرشاً و٣٩ بارة ومجموع نفقاتها ٢٢١٦٥ غرشاً و٥ بارات فيكون الباقي في صندوقها من النقود والكمبيالات ٣٩٩٦٦ غرشاً و٣٤ بارة فنثني على اجتهادها ونشاطها اجمل ثناء

﴿ طوغري سوز ﴾ اذاع جناب المفضال والصحافي القديم سعادتلو سليم باشا حموي مدير جريدة الفلاح الغراء نشرة تركية يعلن فيها عزمه على انشاء جريدة تركية في القطر المصري عنوانها « طوغري سوز » اي الكلام الحق وغرضها خدمة الدولة العثمانية فنرجو لسعادته كل توفيق في هذه الخدمة العمومية

﴿ الشمس ﴾ الشمس مجلة ادبية علمية فكاهية تصدر في دمشق الشام لجناب منشئيها البارعين جورج افندي متى وجورج افندي سمان وقد وردنا العدد الاول منها محتويًا بعد المقدمة على ابحاث مفيدة في القيام بالواجبات واشعة رنتجن واول نسافة في العالم وقوة الفطنة والذكاء فنرجو لها النجاح والانتشار

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

الرئيس كروجر

(تابع)

فقالت البيون لفالي هلمي اذًا يا اختي نفتش عن الرئيس ستاين والرئيس كروجر فحلقتا في الجو وحامتا فوق الاراضي التي تلي بريتوريا تبحثان عن مركز الرئيس كروجر بعد سفره من عاصمته . فابصرتا ان الارض قد تغيرت ومن عليها . فالحقول مهملة يسود فيها الخلل وعدم النظام . والمزارع خاوية خالية ليس فيها غير بعض النساء وصغار الاولاد لان الرجال خرجوا كلهم الى ساحة القتال . والعدو سائد على تلك الامكنة

ولكنه هدوء مخيف لانه هدوء الرعب والموت

فقالت فالي اين بركات السلم من ويلات الحرب يا اختي · اين نعم تلك من نقم هذه الحرب حيثما حلت حلت وراءها جميع الافات · فالقتل والسلب والامراض والاوبئة والخراب والجوع وتيتيم الاولاد وترميل النساء ودوس الحقوق وتنغيص الحياة وتضييق العيش — كل هذه نباتات هائلة قلما تنمو وتزهو الا في الدماء · اما السلم ففيها الطمأنينة والعمار والهناء والسعة والخير على انواعه · الاول شيطان ينثر في الارض شوكاً وحسكاً والثاني ملاك ينثر على الارض ازهاراً وريحاناً

فقالت البيون صدقت يا اختي وانظري الى ما تحتنا الآن فانك ترين الشوك قائماً نامياً والزهر والزرع ذابلاً ذاوياً · فنحن الآن في وقت تسود فيه مملكة الشوك والحسك · ولكن من بذر هذا الشوك والحسك لا يجني كما يقول رئيسنا كروجر وكتابنا الا شوكاً وحسكاً

وفيما كانتا تتخاطبان بهذا الكلام في تلك الجهات وهما تبحثان بنظرهما فيها كما يبحث في الارض شحيح ضاع في التراب خاتمه واذا بهما تبصران محطة من محطات السكة الحديدية وفيها حركة غير اعتيادية · فنزلتا فابصرتا زحاماً حول مركبة فوق الخط الحديدي فاقتربتا فسمعتا صوتاً جهورياً ضعيفاً يقول ·

« قل لهم ايها المكاتب ان الله لا يتخلى عنا · اخذوا بريتوريا عاصمتنا ولكن هذه المركبة اصبحت عاصمتنا · لقد بنيتها خفيفة لطيفة كما ترى لاتمكن من الانتقال فيها بالسرعة اللازمة اذا هاجمونا · وقد حار بناهم الى اليوم في السهول وجهاً لوجه اما الآن فليتبعونا الى الجبال والوديان لمحاربتنا »

ثم سكت الصوت فقالت فالي هذا صوت عمنا كروجر فقالت البيون وهي تتطاول لترى ما في داخل المركبة نعم وهو يخاطب احد مراسلي الجرائد الانكليزية لابلاغ صوته الى انكلترا وحكومتها

وبعد سكوت الصوت خرج اناس من المركبة التي صارت « العاصمة » كما قال الصوت وتفرق الناس من حولها فدنت البيون وفالي من احدى نوافذها واطلتا ثم قالت فالي « هو بعينه »

فقالت البيون ندخل اليه · فقالت فالي اذا دخلنا فانني انطرح بين ذراعيه · قالت اياك ان تُظهري نفسك اما سمعتِ ما اوصينا به فوق · فتنهدت فالي وقالت الامر لهم ·

ثم دخلتا الى المركبة بلطفٍ وتأنٍ كحمامتين من النافذة

فابصرتا رجلاً طاعناً في السن جالساً على مقعد هناك في صدر المكان · يداه على عينيه لرمدٍ بهما وظهره محني من الحزن والتعب ولكن على وجهه لوائح الكبر والعظمة مضافين الى البساطة الطبيعية · وكانت لحيته المستديرة حول وجهه كانها اكليل تكلله وقبعته الطويلة ونظاراته (عويناته) الزرقاء تزيد منظره غرابة على غرابة وتجعل له مشهداً لطيفاً وعجيباً معاً

فلما دخلت الفتاتان همست فالي باذن البيون قائلة : هذا هو الشيخ الذي ارتعدت له فرائص انكلترا كلها وزُعزعت له اساساتها

واذا بهذا الشيخ الذي كان مطرقاً يفكر بهيئة الحزن واشتغال البال ويداه على عينيه يشدهما كانه يحاول استخراج الالم منهما قد رفع ذراعيه في الفضاء بعظمة وشيء من الحماسة قائلاً

„ · · · ولكن شيئاً واحداً لا تستطيعون الاستيلاء عليه اذا استوليتم على بلادنا كلها · وهذا الشيء هو هذا الذي في نفوسنا · هو نور الله الذي وضعه فينا اي حب حريتنا · فاذا قتلتم اليوم هذه الحرية فانكم لا تستطيعون اطفاء جذوة حنا لها ولا منع نهوضنا في المستقبل لاسترجاعها „

ولكن الشيخ كروجر لم يكد يتم كلامه حتى دخل ضابط من جند البوير بلهفة وقال „ رسالة من الانكليز يا جناب الرئيس „ فاجفل كروجر لهذا القول لانه لا ينتظر رسالة ومد يده اليها فتناولها وطالعها من غير ان يفرك عينيه حتي ولا مرة مع مرضهما وذلك لفرط اهتمامه بموضوعها

ثم بعد تامل وتفكر قال „ عجباً ما هذه الاقتراحات المتتالية · اقترحوا علينا اولاً ان نسلم „ فهزأنا بهذا الاقتراح · اقترحوا علي „ ثانياً هدنة فهادنتهم · والآن يقترحون علي „ ثانية ان اسلم على شرط ان يبقوا لي حرية السكنى في جنوب افريقيا „

واذا برجل ثانٍ مهرول وفي يده رزمة كبرى فتقدم من الرئيس وقال „ بريد اوربا يا جناب الرئيس „ فضحك كروجر ضحكة غريبة وقال · „ اوربا · اوروبا · ما اضعفك يا اوروبا „ ثم تناول من البريد الكتب واخذ يفضها ويقرأها

وما اتى على الكتاب الاول حتى اتقدت عيناه وابرقت اسرته فقام وقعد بعنف وقوة بالرغم عن ضعفه وشيخوخته · ثم ترك الكتب من يده وتناول اولاً جريدة التمس وجريدة

الطان فوضع احداها على ركبته ومزق غلاف الثانية

ثم اخذ يقرأ . اخذ يقرأ ويضحك . اخذ يقرأ ويفرك تارةً جبينه وطوراً ركبته ويهتز كعصفور بلله القطر . وبعد قليل القى الجريدة من يده وقرع جرساً قرعاً عنيفاً فدخل سكرتير وزارة الخارجية

وكأن تلك الغمامة التي كانت على جبين ذلك الشيخ قد انقشعت فاستقبل السكرتير ضاحكاً حتى القهقهة وقائلاً « اعلمتَ يامسيو رتز سبب اقتراحهم علينا هذه الاقتراحات » قال كلا ياسيدي الرئيس . قال سببه انهم ربما احتاجوا الى اللورد روبرتس لارساله يتنزه في اقاصي المعمورة في هذه الايام . فقال المسيو رتز وكيف ذلك

فانتصب حينئذٍ الشيخ كروجر قائماً على قدميه بقوة وعنف كأن الشباب قد عاد اليه ومدَّ يده صارخاً

« نور جاءنا من الشرق يارتز . نور طلع علينا من بلاد الصين بلاد المدنية القديمة . لقد نجح الوفد الذي ارسلناه اليها مع ان الوفد الذي ارسلناه الى اميركا بلاد الحرية قد اخفق فكأن الشرق في هذه الحادثة قد اصبح هو الميال للحرية والنور . والغرب هو الميال للعبودية والظلمة . لان الاول قام يضحي كثيراً من مصالحه في سبيل طلبها لنفسه ولغيره والثاني سدَّ اذانه دون ندائنا ولم يشأ ان يضحي شيئاً حتى ولا كلمة تعزية لنا . فالسلام لك ايها الشرق الذي مهما نزل بك من النوازل فانك تبقى جواداً كريماً

فقال رتز واي وفد تعني يا جناب الرئيس فاني لم اسمع به قبل الآن مع اني مطلع فيما اظن على جميع الامور الخارجية

فضحك كروجر وقال « لا تجعل ملاحظتك بمثابة لوم يا رتز فانني قد صنعت هذا من غير اطلاعك طلباً للسلامة مما نحن فيه . لقد ارسلت وفداً الى الصين ووفداً الى الهند . الثاني ليستثير الهنود على خصومنا شغلاً لهم عنا والاول ليفتح المسالة الصينية بوساطته لدى الامبراطورة فتاخذ انكلترا الى الصين جنودها الذين عندنا . وقد كنت في عجب من اقتراحات اللورد روبرتس علينا في هذا الاسبوع وكيف انه اصبح كانه يجتنب لقاءنا فلا يطاردنا ولا يطلبنا اما الآن فقد عرفت السبب وهو ان انكلترا خافت الحرب في الشرق الاقصى فارسلت اليه سراً ان ينتظر ويصبر لعلها تحتاج اليه والى جنوده معه . فاملنا الان اصبح موضوعاً في المسالة الصينية

وقد فهمت من هذا الكتاب ان الثورة قد اشتدت في الصين فحدث فيها قتل

السفراء والاجانب وهدم منازلهم وطردهم فارسلت اوربا الاساطيل اليها · ولكن اوربا ان اتفقت اليوم اختلفت غداً · وخلاصنا الآن متوقف على اختلافها

وكان في جملة الجالسين غلام عمره ١٢ سنة جميل الوجه لطيف المنظر وهو حفيد للرئيس كروجر · فنهض على قدميه عند ذلك الكلام ومدّ اصبعه اللطيف مستأذناً جده بالسؤال فقال كروجر · ما تريد يا بطرس · فقال الولد : قلت ياجدي ان الصينيين يقتلون الاجانب و يطردونهم وان خلاصنا متوقف على استمرار ذلك فهل تريد ان نخلص نحن من الشر بشر يقع فيه غيرنا · اذاً لا نكون قدارددنا لغيرنا ما نريده لانفسنا كما علمتني واوصيتني

فضحك كروجر وقال : عندك يابني · لقد فهمت معنى كلامك · ولكن ما العمل اذا كان البشر الجهلاء قد جعلوا بفساد آدابهم وسوء اعمالهم الخير لا يتم الا بشر · ومع ذلك فلا تحسب ما قلته عن القتل صحيحاً فان الصينيين الآن يمثلون الحوادث تمثيلاً · فهم لا يقتلون ولا يذبحون ولا يهدمون ولا يحرقون ولا ولا ولا ولكنهم يُظهرون انهم يفعلون ذلك ارهاباً للاجانب فقط · وانما هم في الحقيقة ياسرون الاوربيين في بيوتهم · ولديهم وسائط سرية وخزعبلات غريبة يستعملونها امامك فترى الدم جارياً والنار تحترق في المنازل فتحسب القتل والحرق جاريين ولا يكون في الحقيقة شيء من ذلك · ولا غرابة في هذا فان التمدن الصيني القديم يكنُّ غرائب لا يعلمها احد · من ادراك انك اذا فتشت خزائن الحكومة القديمة في بكين لا تجد فيها بقايا مخترعات معفنة قديمة تفوق التلفون والتلغراف والفونوغراف واشعة رنتجن اتقاناً · اما هم الذين اول من اخترعوا البارود والطباعة والبسيكلت وغيرها من الاختراعات المجهولة عندنا · فغير بعيد ان يكون عندهم وسائل غريبة كالتي ذكرتها · وغداً متى طالبتهم الدول بالتعويضات عن خسائر الاجانب ترى ان كل واحد منهم يُخرج الاوربيين واموالهم من منزله كما يُخرج المشعوذ الغرائب من صندوقته فيسلمهم الى دولهم احياء مع انهم كانوا يحسبونهم امواتاً وبذلك يكتفون بخبثهم الصيني دفع التعويضات · فلا تحسب يابني اني اخالف ديني فاطلب تخليص وطني من شره بشر اوقع فيه سواي فقد دبرنا كل ذلك مع امبراطورة الصين احسن تدبير

ثم بهت الرئيس كروجر قليلاً · وبعد ذلك رفع راسه المهيب المجلل بالشيب بعظمة ومدّ يده الضخمة بقوة قائلاً بصوت قوي

" وهب ان الصينيين لا يخلصون من الموت والعبودية الا بسفك الدماء فماذا يصنعون · اما من حقهم ان يكونوا احراراً في بلادهم · أمن العدل ان تؤخذ موانئهم وتُبتز اموالهم · أمن

الانصاف ان يُعتدى على تقاليدهم ودينهم ويكونوا كالغرباء في بلاد اجدادهم انت ايتها الحرية المقدسة التي نطلبك لا نطلبك لنا فقط لاننا حينئذٍ نكون كذابين مرائين على الله والناس ولكننا نطلبك لكل امم العالم · لانك مبدأ الانسان وقوام كيانه وقوة نفسه وبدونك لا يكون الانسان انساناً · انت نظير نور السماء وماء الارض وهواء الفضاء اي مشاعة بين جميع البشر وملكهم كلهم لا ملك القوي دون الضعيف والكبير دون الصغير · فانت اذاً من حق الصيني · واذا كنت من حقه فمن حقه ان يصونك بكل ما في استطاعته وجهده

قال كروجر هذا ثم قرع الجرس ثلاث مرات فدخل خادم فقال الرئيس قل لهم ان يهيئوا لي « بالوناً » الى الصين · فدهش ريتز والحاضرون · وساله احدهم كيف تتركنا الآن الا تخشى يا حضرة الرئيس هجوم الانكليز علينا · فقال كروجر ضاحكاً لا تخافوا فانهم الآن منتظرون حوادث الصين ولذلك لا يهجمون وانا ذاهب لازيد هذه الحوادث استفحالاً لدى صديقتي الامبراطورة فكأنني ذاهب للسعي لكم · ومع ذلك فان المسافة بيننا وبين الصين في هذا البالون مسيرة ساعتين فقط فاعود حين الحاجة سريعاً اليكم

وكانوا قد اعدوا له البالون فركب كروجر ومعه حفيده الغلام فقط · اما فالي والبيون فقالت احداها للاخرى · ما قولك يا اختي في سياحة في الصين مع عمنا كروجر فتململت البيون وقالت : لكن اصحابنا فوق يستبطئوننا · فقالت البيون لا نبطىء في الصين يا اختي واؤكد لك انك ستسرين بما ترينه فيها · فقالت البيون الامر اذاً لك يا اختي فقالت فالي هلمي بنا · — ثم اطلقتا اجنحتها في الهواء للسفر وراء بالون الرئيس كروجر

وبعد هنيهة اطلق هذا البالون فصعد كالسهم في الهواء واخذ يدنو من الغيوم في كبد السماء · وكان الشيخ كروجر وحفيده الغلام ينظران في صعودهما الى ذلك الفضاء الواسع الذي كانا راقيين اليه وهما يرنمان بصوت خاشع ترنيمة هذه خلاصتها

انني ادنو بخشوع يا الهي من هذا المكان الرفيع
ولكنني اشعر ان المادة التي في جسمي تجذبني الى المكان الوضيع
فمتى ياتي امرك يا الهي وتمسح هذه الدموع
وتقول للحمامة التي في باطني ان تطير الى جنابك الرفيع
اشتقت اليك · وللذين عندك · فارحمني · واسمح لي بالوصول
لا تُرجعني لا ترجعني الى المكان الوضيع
مللت ما فيه · سئمت ما فيه · خذني اليك · الى تلك الربوع

وهكذا بقي كروجر والفتى حفيده ينشدان هذا النشيد اللطيف وهما صاعدان في الهواء يقتربان من غيوم السماء وفالي والبيون تسبحان في الهواء وراءهما وهما تسمعان وتبكيان وكلهم متجهون نحو البلاد الصينية (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

(* الجناب الخديوي في لندرا *) ذكرنا في صدر هذا الجزء الاعتلال الذي طرأ على الجناب الخديوي في سفره الى لندرا · وقد نال سموه العافية بعد ذلك وزار في ٢٧ الماضي لندرا وقصر وندسور حيث قابل جلالة الملكة فيكتوريا فاستقبل سموه استقبالاً عظيماً نادر المثال واقام له المجلس البلدي في لندرا مادبة في كيلد هال · ثم سافر سموه من لندرا فزار معرض باريز متنكراً وسار بعد ذلك الى حمامات دبفون الفرنسوية

(* الجنسية المصرية *) قررت الحكومة المصرية مشروع تجنس العثمانيين بالجنسية المصرية · ومقتضاه ان العثمانيين الذين في القطر المصري والذين وفدوا اليه قبل سنة ١٨٤٨ والذين يقيمون فيه ١٥ سنة و يقومون بالخدمة العسكرية او بدفع البدل العسكري كلهم يُحسبون مصريين

(* خطة سكة الحجاز الحديدية *) روت الجرائد الاوربية ان هذه السكة ستمد من دمشق الى الحجاز فيمر خطها قرب شبه جزيرة سيناء في جهة العقبة ويصل الى الحرمين الشريفين بعد ان يخترق الحجاز · ثم يمد الى جده فينبع · وسيكون عدد محطاته ٣٥ محطة وُقدرت نفقته بعشرة ملايين ليرة عثمانية · اما مسافته فهي ١٨ يوماً يسير فيها القطار في النهار دون الليل ليتمكن الحجاج من تادية فروض الصلاة · وستصنع له المعامل العثمانية ٥ آلاف متر من الخطوط الحديدية في كل يوم

(* الجمعية الاسيوية الفرنسوية وعلماء الشرق *) سرنا ما علمناه من اخبار طرابلس الشام من تعيين الجمعية الاسيوية الفرنسوية في باريز حضرة العالم الفاضل مؤرخ سوريا الشهير جرجي افندي يني الطرابلسي صاحب التصانيف التاريخية الجليلة عضواً من اعضائها بناء على طلب صديقه جناب العلامة كلاريون كانيو الفرنسوي · فان الجمعيات الاوربية

العلمية تحتاج في الشرق الى عالم كصديقنا جرجي افندي بني كما ان الشرق يحتاج ان يمثله لدى الغرب شرقي بعلمه وفضله · فنهنئه بهذا الاكرام العلمي الذي هو جدير به كما نهنئ الجمعية بعضويته ونرجو له ما يستحقه فضله من المزيد

(* رصيفنا المصباح *) تفضل رصيفنا المصباح البيروتي الاغر وخصص بعض صفحاته للكلام عن الجامعة ومنشئها فقال قولاً يدل على فضله وحسن ظنه وعلى انه ينظر الى رصيفته الجامعة بعين الرضى التي ترى المحاسن ولا ترى سواها · فنحن نشكره شكراً جزيلاً على كلامه اللطيف الذي املاه عليه ادب مديره ومحرره الفاضل وحسن ذوقه ونرجو للجامعة ان تبقى حائزة استحسان رصفائها الافاضل وقرائها الكرام مع ما نشعر به من ضعفنا وقصورنا · والله نسال ان يوفقنا جميعاً الى ما فيه الخير العام والسلام

(* الحوادث الخارجية *) كسفت حوادث الصين حوادث الترانسفال واحتلت محلها من الاهمية في العالم · وقد ثبت ان الصينيين قتلوا سفير المانيا في بكين فارغى الامبراطور غيليوم وازبد وعين الف " تايل " لكل صيني ينقذ اوربياً · وفي بعض الروايات ان كل الاوربيين الذين في بكين قد ذُبحوا عن آخرهم مع جميع السفراء · وقد عزمت اوربا على ارسال جنود الى بكين لفتحها · ويقال ان الامبراطورة قد فرَّت منها · اما الاميرال سيمور الذي زحف اليها بالفي رجل فقد عاد الى تينتسين لانقطاع الخط الحديدي الموصل الى تلك العاصمة · ولا يعلم الآن احد كيف تكون نهاية المسالة الصينية

اما حرب الترانسفال فانها اصبحت الآن مناوشات بين البوير والانكليز وهذه المناوشات اشدّ على الجيوش المنظمة من الحرب المنظمة الحقيقية

(* سابا زكا بك *) استاثرت رحمة الله تعالى في العاصمة بالماسوف عليه المرحوم سابا زكا بك باشكاتب محكمة الاستئناف الاهلية بمصر · توفاه الله بعد عمر قضاه في الفضل والاعمال الحميدة والاخلاق الطيبة فنحن نسال الله ان يتغمده بواسع رحمته ورضوانه وان يلهم آله الكرام جميل العزاء على فقده

فهرس الجامعة — يجد القراء في هذا الجزء فهرس السنة الاولى من الجامعة وقد وضعنا فيه ايضاً مقدمة الجزء الاول من الرواية وهو الذي نشرناه ذيلاً للسنة الاولى وذلك بناءً على طلب الذين يرغبون في تجليد الرواية على حدة فيكون الفهرس لتجليد الجامعة ومقدمة الرواية لتجليد الرواية

نوجه الانظار الى بضع كلمات على ظهر المجلة

ولكن ما لبث النساء ان ثار ثائرهن على هذا الرجل وعجبن من انهن صبرن عليه الى الآن . فاستحضرن في الحال حبلاً طويلا والقينه من بعيد حول عنقه ثم جررنه الى نافذة ورفعنه ليشنقنه فيها

واذا برجل ضخم الجثة ينقض من الخارج وفي يده سكين فقطع الحبل كما قطعه ذلك الرجل لما كان في عنق الراهب قبل هنيهة

واحدة بواحدة . ومن يصنع الخير يلقى مثله

اما الرجل القادم فانه بعد قطع الحبل التفت الى النساء صارخاً بصوت جهوري . ماذا تصنعن ايتها الوطنيات . اما تعلمن ان هذا الرجل هو " مايار "الباسل احد الابطال الذين فتحوا الباستيل

فتقدم مايار من الرجل ومد يده اليه مصافحاً ثم قال له — شكرًا لك يامسيو بيلو .

فقال بيلو لا شكر ياسيدي لانك خلصتني مرة تحت اسوار الباستيل

واما النساء فلما علمت ان هذا الرجل هو مايار وهو من ابطال الباستيل وكن قد سمعن ببسالته انقلبن من الغضب الى الرضى وهجمن على مايار يوسعنه ملاطفة وتقبيلا

فيا لك من بحر غريب يا بحر الشعب . فان نسمة ترفع امواجك جبالاً الى السماء واقل شيء يجعلك ساكناً راكدًا

وبعد ذلك التفت مايار الى النساء وطلب منهن ان لا يحرقن المجلس فان هذه القوة التي يطلبن هدمها هي القوة المدنية التي تنصر الشعب على مقاوميه فيجب عليهن مساعدتها لا مقاومتها . فاقتنعت النساء ولكن ساءهن ان لا يصنعن شيئاً فصاح بعضهن فلنذهب اذًا الى فرساليا لنرى الخباز والخبازة

وكانوا يعنون بالخباز الملك وبالخبازة الملكة

فصاح حينئذٍ غيرهن نعم الى فرساليا الى فرساليا نحن جيش ومايار جنرالنا كما ان لافاييت هو جنرال الرجال . ومنذ هذا الحين اخذوا يسمون " مايار " جنرال النساء فرضي مايار باللقب وبالوظيفة

الفصل السابع عشر

(الشعب يسير الى فرساليا)

وكان عدد هؤلاء النساء المتجندات ٨ الآف امرأة ومعهم المدافع والحراب

والبارود يضعنه في مناديلهن وجيوبهن فرأى مايار انهن يحدثن هياجاً عظيماً في باريز اذا بقين فيها فضلاً عن استمرار هياجهن فراى من الحكمة ان يسوقهن الى فرساليا كما يطلبن ثم متى وصلن الى هناك اخمد هياجهن بما اصبح له من السلطة عليهن

فدنا مايار من الفتاة الجائعة التي كانت تضرب الطبل في المقدمة وتناول الطبل منها. فالقته الابنة اليه تخلصاً من ثقله فوق ثقل جوعها . وبعد ان اخذه مايار منها سقطت من الجهد والجوع على الحاجز الحجري هناك والقت راسها عليه كانها مائتة

فكان الحاجز الحجري وسادة لها. وهو في الحقيقة بالنسبة الى المعذبين في الشوارع وسادة الجوع والفقر والشقاء

فسالها مايار عن اسمها . فقالت ان اسمها « مادلين شامبري ». وقد كانت صناعتها في اول عهدها نقش الاخشاب لتزيين الكنائس بها . ولكن حوادث الثورة صرفت الافكار عن الكنائس وزيناتها فلم تعد هذه المسكينة تجد عملاً

فاتخذت صناعة بيع الازهار في الشوارع لتربح ما تسد به رمقها . ولكن باقات الازهار نجوم تسطع في اوقات السلم والسعة وتذبل عند ما تهب عليها انفاس الجوع والثورة لان الجوع لا يبقي في الجيوب مالاً لابتياع الخبز فكيف الازهار . لذلك اضطرت الى ترك هذه الصناعة ايضاً . ولما لم تجد عملاً تعمله حملت طبلاً واخذت تطوف باريز وهي تقرعه وتطلب خبزًا كما قدمنا

فاقترح مايار عند اخذه هذا الطبل منها ان تُرسل هذه الفتاة مع ١٢ امرأة من الباريزيات وفدًا الى الملك ليطلبن منه « باسم الجوع والجائعين » اطعام الشعب خبزًا . نعم انها لا تستطيع السير لضعفها ولكنها تسير الى فرساليا مع رفيقاتها في مركبة

فسرَّ النساء بهذا الخاطر سرورًا عظيماً وتركن تهديد الملك وعماله لانهن اصبحن يؤملن من الملك انصافاً

فاخترن منهن اثنتي عشرة امراة وقدمن عليهن الفتاة الجائعة « مادلين » ثم وضعنهن في المقدمة وزحفن بهن الى طريق فرساليا لمقابلة الملك

ولكنهن ما وصلن الى قصر التويلري حتى وقفن كما يقف التيار لشيء يحول دون مجراه . ذلك لان حارساً كان يحرس مدخل القصر

فاراد النساء ان يمررن بالرغم عنه فتقدم جنرالهن مايار وسالهن متلطفاً ان لا يفعلن ذلك لان فيه اهانة الملك والاعتداء على الحرية الشخصية والعمومية . قلن وما السبيل

اذاً . قال مايار السبيل ان نستاذن الحارس اكراماً للملك

فصرخ النساء معاً . نعم نستاذن الحارس .

فتقدم مايار من الحارس وقد رفع قبعته عن راسه وقال له متلطفاً . نحن قاصدون جلالة الملك في فرساليا فهل تاذن لهولاء السيدات ان يمررن من حدائق التويلري للوصول الى الطريق وانا اتعهد لك بانهن لا يحدثن ضرراً

فكان جواب الحارس انه جرد حسامه بغضب وهجم به على مايار

فجرد مايار حينئذٍ حسامه ولقي به الحارس . فلما ابصر النساء ذلك انفرد بعضهن واتين الحارس وهو يناضل مايار فرفعت احداهن مقبض مكنسة ضخمة كانت في يدها وضربت الحارس بها على راسه فسقط من شدة الضربة تحت اقدام مايار . فتناول مايار سيف الحارس ومرّ النساء من طريق التويلري دون ان يحدثن فيه ضرراً كما تعهد جنرالهن ثم اخذن بالمسير نحو فرساليا وهن على ما رأيناهن فيه من الهياج والاضطراب

فلنتركهن سائرات على الطريق ولنعد الى باريز

ولا شبهة في ان اضطرابهن وهياجهن كان من شانهما ان يسريا الى الشعب . وهكذا كان

وكان لافاييت قائد الحرس حين سماعه بهذا الاضطراب يستعرض الجيش في ساحة التمرين فبادر في الحال الى ساحة المجلس البلدي حيث كان الشعب آخذاً في الاجتماع كما تجتمع الغيوم السوداء في كبد السماء

وكان لا فاييت يصرف ايامه وهو لا يعرف راحة بل كان طول اوقاته راكباً جواده الابيض الذي اشتهر اشتهاره ويتنقل عليه من مكان الى مكان . وكان يصرف النهار والليل احياناً على متنه بل ربما أكل ونام على متنه لافرط تأهبه واستعداده . ولذلك صور مصورو الجرائد الجنرال لا فاييت في تلك الايام حيواناً ضخماً هائلاً اسفله جواد ابيض واعلاه انسان

وبينما كان لا فاييت مسرعاً الى ساحة المجلس البلدي وجد في طريقه فارساً عائداً منها وهو ينهب الارض بجواده نهباً . وكان هذا الفارس الدكتور جيلبار وهو سائر الى فرساليا لاطلاع الملك على ما جرى . فاستوقف الدكتور لافاييت وقص عليه ما جرى بكلمتين ثم استانف السير الى فرساليا والجنرال لافاييت الى ساحة المجلس البلدي

ولما وصل الجنرال الى هذه الساحة وجد صعوبة شديدة في المرور الى باب المجلس لكثرة

الجمع المحتشد و بعد دخوله استفهم عما جرى واخذ يملي على احد الكتبة كتاباً الى الملك بتفصيل حوادث ثورة الصباح .

ولكنه لم يصل الى السطر السادس حتى دُفع باب الغرفة التي كان فيها دفعاً شديداً وظهر فيه وفد يتقدمه ضابط . قاوما اليهم لافاييت ان يتقدموا فدخلوا الى الغرفة

ثم تقدمهم الضابط الذي كان موكولاً اليه ان يتكلم وبدأ يخطب قائلاً بجأش ثابت :

« ياسيدي الجنرال . اوفدتنا اليك عشر فرق من الفرسان لنقول لك اننا لا نستطيع ان نرفع حرابنا على نساء يطلبن خبزاً . نحن موقنون انك لست خائناً ولكن الحكومة تخوننا . واللجنة التي عُهد اليها القيام بحاجات الشعب غير قائمة بواجباتها فينبغي فصلها . ثم ان مصدر المصائب في فرساليا فنحن نريد ان يعود الملك الى باريز ونطلب اعدام جنود فلاندر و الحرس الذين داسوا الشعار الوطني باقدامهم في المادبة في فرساليا . واذا كان الملك ضعيفاً الى حد لا يستطيع عنده ان يحكم فليتنازل عن الملك الى ابنه »

وكان الخطيب يتكلم بشجاعة وثبات جأش ولافاييت مدهوش مبهوت يسمع و يرى بعجب واستغراب . فانه قد شهد فتناً كثيرة واضطرابات هائلة . رأى الشعب يزأر زئير الاسود والرصاص يهطل كما يهطل المطر فلم يؤثر فيه ذلك قط كما اثر فيه هذا الكلام القوي . ذلك انه شعر بان هذا الكلام هو انفاس الثورة الحقيقية تهب للمرة الاولى في وجهه

ومما زاد استغرابه طلب الشعب ان يتنازل الملك عن عرشه وهي المرة الاولى التي يُظهر فيها الشعب امكان استغنائه عن ملكه

فقال لافاييت للوفد بشيء من الحدة والنزق . ما هذا القول ايها السادة . اراكم تجاوزتم الحد بتعرضكم للملك ومن واجباتي ان انبهكم الى ذلك

فاجاب الضابط باحترام « نحن ياسيدي الجنرال نسفك دماءنا في سبيل مرضاتك ولكن الشعب تعيس واصل تعاسته في فرساليا وهو يريد ان يعود الملك الى باريز . هذه ارادة الشعب الواقف تحت هذا القصر »

فانعم لافاييت النظر في هذا الموضوع وهو يسمع صراخ الشعب « الى فرساليا الى فرساليا » فرأى وجوب اخماد هياجه واقناعه بترك العزم الذي عزم عليه من الذهاب الى فرساليا للعودة بالملك فترك الوفد ونزل الى ساحة المجلس واراد ان يخطب في القوم . فغطوا صوته بصراخهم الهائل قائلين « الى فرساليا الى فرساليا »

واتفق في هذا الوقت ان باليي رئيس المجلس قدم الى المجلس فازداد الشعب صراخاً وهياجاً واصبحوا يصرخون " نريد خبزاً نريد خبزاً "

وكان الجنرال لا فاييت قد دخل بين الجمع ليحاول تسكينهم فاطبق الجمع عليه من كل جانب وهم يصيحون الى فرساليا الى فرساليا ثم حالوا بينه وبين باب المجلس فلم يبقَ في استطاعته الوصول اليه · بل اصبح كزورق صغير على ظهر امواج الاوقيانوس وهي تتلاعب به وتقذفه الى حيث تشاء

غير ان لافاييت جهد النفس حتى وصل الى جواده المربوط في ساحة المجلس وامتطى صهوته · فكان كغريق وجد بين الامواج الهائلة خشبة فتعلق بها

اما الشعب فلما راى لافاييت قد امتطى جواده وجد انه قد اصبح اكثر تأهباً للسفر فازداد صراخاً « الى فرساليا الى فرساليا » ثم احاط بالفارس وفارسه احاطة السوار بالمعصم واخذ يشد بهما ويدفعهما بالرغم عنهما في طريق فرساليا

فبقي لا فاييت متردداً عن السير في هذه الطريق · نعم انه اذا سار الى فرساليا فانه يستطيع نفع الملك ولكن من يضمن له انه يستطيع حينئذٍ التسلط على تلك الجماهير الهائلة التي تسير معه · فانه الآن وهي لا تزال في باريز يجد انها اصبحت لا تسمع له كلمة فكيف بها اذا اصبحت في فرساليا بعيدة عن مركز قوته في باريز

وبينما كان الجنرال يتامل في هذا واذا برجل قد خرج من باب المجلس وبيده ورقة · فشخصت اليه جميع الانظار · وكان هذا الرجل هو بيلو نفسه

فما زال سائراً يشق الجموع وهم يفسحون له المجال حتى وصل الى لافاييت فالقى الكتاب اليه فعلم الجنرال انه من اعضاء المجلس قبل ان يتناوله · ولكنه ما اخذه بيده حتى علا صياح الناس من كل جانب « اقرأه جهراً اقراه جهراً » وكان الاضطراب هائلاً والصراخ مما تصم له الاذان

فاومأ اليهم لا فاييت ان يسمعوا ليتلوه عليهم فسكتت الاصوات في الحال كانها سكتت بقوة سحرية واصغى الجميع اصغاء تاماً

فقرأ الجنرال لا فاييت في الكتاب هذه الاسطر

« بناء على ارادة الشعب وعلى ما طلبه الجنرال لافاييت القائد العام مما ليس في استطاعتنا رفضه قد اذنا له بل امرناه بالذهاب الى فرساليا وسيصحبه اربعة من اعضاء المجلس »

مسكين لافاييت · فانه لم يطلب قط ذلك الطلب ولكن الاعضاء راوا ان يحملوه هذه المسئولية فكتبوا ما كتبوا بناءً على ما راوه من ارادة الشعب التي لا مردّ لها اما الشعب فانه لما سمع من هذه السطور ان الجنرال لافاييت قد استاذن المجلس بالسفر بهم الى فرساليا صاح من فم واحد صيحة كالرعد القاصف قائلاً «عاش لا فاييت»

فاصفر وجه لا فاييت عند ذلك ثم مدّ يده مشيراً الى طريق فرساليا وصارخاً — هلموا الى فرساليا

فاندفع وراءه خمسة عشر الف رجل قاصدين فرساليا ليطلبوا من الملك ان يسد رمقهم بكسر الخبز الفاضلة عن مآدب بلاطه

الفصل الثامن عشر

(فرساليا)

وكان البلاط في فرساليا جاهلاً ما كان يجري في باريز حسب العادة

اما الملكة فانها بعد حوادث المادبة اصبحت ترى ان لديها جيشاً قوياً مستميتاً في حب الملكية فازدادت عنفواناً وكبرياء

وكانت قد اصبحت تبتعد بما في استطاعتها عن شارني لا رغبةً عنه بل اهالاً له كا مرّ بنا اما زوجته الكونتس دي شارني فانها كانت تقربها منها لا رغبةً فيها ولكن حتى لا يقال انها غضبت عليها

ولم يكن هذا الانقلاب الذي حدث في عواطف الملكة ناشئاً عن سخطها على هذه الاسرة فانها في صباح هذا اليوم ابصرت جورج دي شارني وهو اخو الكونت وضابط في حرس الملك ماراً في القصر مسرعاً فدعته اليها واخذت تحادثه متلطفة معه · فسألته الى اين يسرع في مثل تلك الساعة · فاجاب الفتى جورج انه سائر ليبلغ خدمة الصيد ان الملك يتصيد في هذا النهار · فارسلت الملكة نظرها الى السماء وقالت ان الغيوم السوداء متكاثفة فوق باريز افلا يخاف الملك المطر في مثل هذا اليوم · فقال جورج · هذه ارادة جلالته · فتنهدت الملكة وقالت اذاً فلتكن ارادة الملك· ثم خفضت صوتها وقالت · يجب ان تبقى له الارادة في هذه الشؤون على الاقل · ثم رفعت صوتها وسالت الفتى، جورج · واين يتصيد الملك اليوم فقال في حرش مودون فقالت الملكة اصحبه اذاً واسهر على حياته

وكانت الكونتس اندري حاضرة هذا المشهد

ولكن ما اتت الملكة على آخر كلامها حتى سُمع صوت من ورائها يقول

— لا يسهر على حياة جلالته فقط ياسيدتي ولكنه يبذل حياته دونها ولا سيما في الاخطار الحاضرة

فارتعدت الملكة عند سماعها هذا الصوت لانها علمت انه صوت شارني قبل ان ترى وجهه · فالتفتت فابصرت الكونت دي شارني داخلاً فقالت له بشيء من النزق : كان حقي ان ادهش لو كان قائل هذا الكلام غير الكونت دي شارني· فسأل الكونت باحترام ولماذا ياسيدتي · قالت لانك تتشاءم وتتنذر بالشر دائماً

فاصفر وجه الكونت عند هذا التوبيخ واصفر وجه الكونتس اندري زوجته ايضاً · ولكن شارني لم يجب بل اكتفى بالانحناء احتراماً · اما زوجته فانها نظرت اليه نظرة كان معناها لماذا هذا الجبن والضعف · فتشجع شارني وقال : الحق اقول لجلالتك انني اصبحت تعيساً لانني صرت لا اقول كلمة الا وتسوءها

وكان هنا لكلمة « صرت » معنى كبير وقد شدّ عليها الكونت حين لفظها كما يشد الممثلون في المراسح على الكلمات التي يودون توجيه الاسماع اليها بنوع خاص · فثار دم الملكة وصاحت به · تقول « صرتُ صرتُ » فما معنى هذه الكلمة

فاجاب الكونت بهدوء : يظهر انني لم احسن التكلم هذه المرة ايضاً · ثم وجه نظراً معنوياً الى اندري فابصرته الملكة واصفر لونها فقالت بغضب وحدة — انما يكون الكلام سيئاً متى كانت النية سيئة

فاجاب شارني انما يكون الكلام سيئاً متى كانت الاذن التي تسمعه تود جعله سيئاً ثم سكت

فاجابت الملكة انا لا اجاوب حتى ارى المسيو شارني قد اصبح اكثر اعتدالاً في كلامه فدنت حينئذٍ اندري من زوجها واخذت يده كانها تساله السكوت خوفاً من اغاظة الملكة فوق ما اغاظها · وهمت بالخروج معه فاوقفتها الملكة بنظرة شديدة وسالتها · والخلاصة ما كان يريد « زوجك » مني

فقالت اندري ان الكونت كان امس في باريز وقد عاد منها اليوم بعد ان شاهد اضطراباً مخيفاً

فقالت الملكة · احدث اضطراب جديد ايضاً ؟ ولماذا ذلك · لقد فتح الشعب الباستيل

وهو آخذ الآن بهدمه فماذا يريد اكثر من ذلك . تكلم ايها الكونت

فقال دي شارني نعم هدم الشعب الباستيل ياسيدتي ولكن حجارته لا تؤكل والشعب جائع يريد خبزًا

فاجابت الملكة بحدة . وماذا نصنع بالشعب اذا كان جائعاً . فقال ذي شارني بحدة ايضاً . لا تقولي هذا القول ياسيدتي فان من واجبات الملوك ان يصنعوا كل شيء للشعب وان يبذلوا كل شيء في سبيل خدمته ونفعه . فقالت الملكة ولكن ماذا شاهدت

فقال الكونت . شاهدت يامولاتي مشاهد ترتجف لها الابدان . شاهدت جماهير لا تحصى مجتمعة على الارصفة تنتظر الدقيق والدقيق لا يأتي . شاهدت جماهير اخرى خمص البطون صفر الوجوه عراة الابدان تنتظر الخبز امام ابواب الافران والخبز لا ياتي . شاهدت شعباً باسره جائعاً مجهوداً . الآباء ينظرون الى الامهات بحزن والم لانهم لا يستطيعون سد رمقهن بكسرة من الخبز والامهات تتمزق احشاؤهن من الجوع ومن الجزع على اولادهن الجياع امامهن . هذا ما شاهدته امس في باريز . وشاهدت ايضاً الايدي تُمد الى فرساليا بالتهديد والالسنة تلفظ بغضب وجنون كلمات اليأس والوعيد . فصدقيني ياسيدتي ان الخطر شديد وانه ربما اتى عاجلاً او آجلاً ذلك اليوم الذي يحلو لي ولاخي ان نموت فيه في خدمة جلالة الملك وجلالتك

وكأن هذا القول قد اعيى الملكة فادارت ظهرها الى الكونت وذهبت الى النافذة واسندت يدها اليها . ثم نظرت الى الخارج

ولكن ما وقع نظرها على الطريق الموصلة الى القصر حتى اخذت تنعم النظر فيها ثم قالت للكونتس انظري معي ايتها الكونتس مَن هذا الفارس القادم الى القصر . فدنت اندري من النافذة . غير انها ما وقع بصرها على الطريق حتى تراجعت الى الوراء مذعورة وقائلة . ما هذا ياسيدتي

فتقدم عند ذلك الكونت من النافذة فابصر رجلاً على جواد ينهب الارض نهباً . فقال هذا الدكتور جيلبار عائد من باريز

فقالت الملكة نعم الآن عرفته

فنظرت اليها اندري لترى اذا كانت الملكة صادقة في قولها ام غير صادقة . فانها اذا كانت صادقة فذلك دليل على ان السهر والدموع والمصائب قد اضعفت بصرها فلم يبق في امكانها معرفة معارفها عن بعد مئات من الخطوات . واذا كانت غير صادقة فانها تكون قد

فعلت ما فعلته انتقاماً من اندري لانها تعلم ان فرائصها ترتعد لمجرد رؤيتها ذلك الرجل
فلم تستطع اندري ان ترى في نظر الملكة اذا كانت صادقة او كاذبة

وكان القادم هو الدكتور جيلبار نفسه وقد قدم لاطلاع الملك على حوادث ذلك الصباح كما مرَّ بنا . الا انه لما لم يجد الملك في قصره طلب ان يواجه الملكة فاستاذن في الدخول عليها . فاذنت له فدخل لمقابلتها

الفصل التاسع عشر

(وصول النساء)

وحين وصوله انحنى باحترام امام الملكة وباقي الحاضرين ثم قال قد جئت يامولاتي مسرعاً من باريز لاطلع الملك على حركة هذا الصباح . فقالت الملكة واي حركة . فقال جيلبار ان ٨ الآف امرأة متسلحات خرجن من باريز قاصدات هذا المكان

فبهتت الملكة والحاضرون ثم سالت وماذا يطلبون عندنا . قال انهم قادمون ليطلبوا من الملك خبزهم اليومي لان منهن من يمتن جوعاً

فنظر دي شارني الى الملكة كانه يقول . اذاً قد صحت نبوءتي

فالتفتت الملكة الى جيلبار ودي شارني قائلة — وماذا العمل الان . فاجاب جيلبار ينبغي اولاً ان نخبر الملك بالحادثة . فان الملك لا يزال محبوباً فاذا قابلهن هنا وخطب فيهن ولاطفهن القين السلاح من ايديهن وعدن على اعقابهن . فقالت الملكة . ولكن الملك الآن في مودون يتصيد وكيف السبيل اليه . فتقدم دي شارني وقال انا اسرع لاخبار جلالته

فقالت الملكة ولكني لا اخال الطريق اميناً الآن فان القادمين او القادمات قد يقطعنها على المارين . فقال دي شارني . ولكنا خُلقنا نحن ياسيدتي ليوم مثل هذا اليوم والموت للرجال فمن لم يمت بالسيف مات بغيره .

ثم انه من غير ان ينتظر جواب الملكة انحنى باحترام وخرج فركب فرسه وسار الى مودون لاخبار الملك

وقبل ان يغيب عن الابصار قصدت اندري النافذة وارسلت اليه منها التحية بيدها فحياها الكونت وهو ينهب الارض نهباً بجواده و يلتفت اليها

اما الملكة فانها نظرت اشارة اندري ولم تنظر اشارة الكونت زوجها

ولما انتشر بين الجنود خبر سفر النساء من باريز الى فرساليا مسلحات اخذوا بالاستعداد والتاهب . ولكنهم كانوا يتاهبون بقلق واستغراب اذ ماذا يصنعون مع النساء وكيف يهاجمون النساء وعلى الخصوص اذا كن ضعيفات خائرات القوى من التعب والجوع

ولنعد الآن الى هولاء النساء

كانت صفوف النساء فريقين فريقاً قادماً من سان كلود وفريقاً من "سفر" وقد افترقن هذا الافتراق في منتصف الطريق . ولكنهن قبل افتراقهن ظفرن في "سفر" بثمانية ارغفة من الخبز وهي كل ما كان من الخبز فيها فاقتسمنها بينهن

اي انهن قسمن ٨ ارغفة زنتها ٣٢ ليبره من الخبز بين ٨ الآف شخص ...

ولما استانفن السير الى فرساليا اجهدهن التعب والجوع حتى لم يبق في استطاعتهن حمل السلاح في ايديهن فطرح ثلاثة ارباعهن سلاحهن على الطريق تخفيفاً لسيرهن . فبقي الربع الرابع فهذا اقنعه مايار قائد النساء بان يودع اسلحته في الطريق فتركها ايضاً . فاصبح النساء بلا سلاح

وما زلن سائرات وهن يتمايلن مترنحات لان الجوع يفعل فعل الخمر في الرؤوس حتى اشرفن على فرساليا مقر الملك . فخطر لهن خاطر وهو انهن يكرهن ان يقول احد عن سفرهن الى فرساليا انه ضد الملك ولذلك اقترحن ان ينشدن في دخولهن نشيد هنري الرابع دلالة على حسن نيتهن للملكية

وهكذا ما وصلن الى المدينة حتى علت الوف من اصوات النساء بذلك النشيد الملكي فاستغرب جند فرساليا وسكانها ذلك النشيد لانهم سمعوا ان النساء قادمات للوعيد لا للنشيد . وكان منظرهن وهن داخلات مغنيات كاشباح الموتى من الجوع وسوء الحال — منظراً محزناً يسيل الدموع و يفتت القلوب

ولما وصل النساء الى القصر وجدن الحاجز الحديدي المذهب مقفلاً ووراءه الجند متاهبين فرفعن ايديهن ومددنها بعضهن ملتمسات طالبات وبعضهن مهددات

وكان جميع اكابر الضباط ورجال البلاط قد التفوا حول الملكة فالتفتت هذه الى المسيو سن بريست احد الوزراء وبعثته الى النساء ليسألهن ماذا يطلبن . فجاءهن الرجل من وراء الحاجز وسالهن ماذا تطلبن فقلن من فم واحد — نريد خبزاً نريد خبزاً

فاجاب المسيو سن بريست بغضب قائلاً : لما كان لكم رئيس واحد لم تجوعوا قط اما الآن ولكم مئات من الروساء (يعني النواب في المجمع الوطني) فانكم تموتون جوعاً

قال هذا ثم عاد ادراجه بعد ان اوصى بابقاء الحاجز مقفلاً والنساء يصرخن صراخاً هائلاً

وبعد برهة قدم النساء وفدهن وهو مؤلف من ١٢ امرأة تتقدمهن بائعة الزهر كما مرّ بنا · وكان معهن رئيس المجمع الوطني المسيو مودون الذي اقنعه مايار برئاسة هذا الوفد والامتثال به لدى الملك

ولكن ما وصل الوفد الى حاجز القصر حتى ظهر الملك عائداً من الصيد بدعوة الكونت دي شارني · ولما دخل الى قصره سمع ضوضاء شديدة من جهة الجمع وصراخاً عظيماً

ذلك ان الحرس الملكي آلى على نفسه ان لا يترك الوفد النسائي ورئيسه يدخلون الى القصر فحملوا عليهم واطلقوا بنادقهم بينهم فسقط رئيس المجمع الوطني من الصدمة وجرحت امرأتان من الوفد برصاص الحراس

فلما سمع الملك هذا الامر غضب وصاح برجاله ان يفتحوا الحاجز على عجل ويوصلوا ذلك الوفد اليه · فبادر شارني وجيلبار لانفاذ امر الملك ومنع الحرس من مقاومة جمهور الشعب

وهكذا دخل وفد النساء تتقدمه بائعة الازهار · فدنت هذه من الملك خائفة مرتعدة فلم تتمكن من ان تلفظ غير هذه الكلمات · ياجلالة الملك نريد خبزاً · ثم سقطت مغمى عليها من الضعف والتعب والخوف والجوع

فبادر الملك واندري لاعانتها اما الملكة فبقيت كالصنم جامدة في مكانها

فاخذ الملك الابنة بين ذراعيه واخذوا ينشقونها الارواح لتفيق · ثم لما انتبهت ورات نفسها بين يدي الملك خجلت وهمت بتقبيل يديه · فقال لها الملك اطمأني يا بنية ودعيني اقبلك · ثم قبلها · فقالت الابنة مولاي اذا كنت كريم الخلق الى هذا الحد فلماذا لا تصدر امرك · فقال الملك بماذا يا بنية · قالت بجلب الخبز الى باريز فاننا نموت جوعاً فيها فقال الملك اذا كان الجوع يذهب بامر اصدره فساصدره في هذه الساعة يابنية

ولكن لم يتم الملك كلامه حتى سُمع صوت البارود من جهة ساحة القصر فاجفل الملك وبعث جيلبار ليستخبر له

وكان سبب هذا الطلق ان المسيو سافونيير احد ضباط الحرس رفع يده ليضرب جندياً كان يحمي امراة منه فسدد رجل من الشعب بندقيته الى اليد المرفوعة واطلق النار

عليها فكسرها

فلما ابصر رجال الحرس ما اصاب احد ضباطهم جاوبوا باطلاق بنادقهم على الشعب المجتمع بين نساء ورجال . فسقطت امرانان على الارض واحدة قتيل والثانية جريح

فجاوب الشعب باطلاق النار فسقط من الحرس اثنان عن جواديهما قتيلين

ثم ساد الهياج وقامت القيامة فاتى الشعب بمدفع كان معه وصوبه الى القصر ثم ادنى النار من خزانة بارودة . ولكن من حسن الحظ ان المطر كان يهطل في تلك الساعة فلم يشتعل البارود لانه كان مبتلاً

ولما وقف جيلبار على كل هذه التفاصيل علم ان الموقف حرج جداً فحار في امره واذا برجل يهمس في اذنه قائلاً : ان الجنرال لا فاييت قادم فاركض واستعجله فانه لا يُسكن هذه الحركة احد سواه

فالتفت جيلبار ليرى هذا الناصح فلم يعرفه ولكنه رأى النصيحة في محلها ففتش ليرى جواداً فوجد الجوادين اللذين قتل فارساهما فانفرد باحدهما وامتطاه ثم سار به ينهب الارض نهباً

فهمّ الجواد الثاني ان يلحق برفيقه ولكن بعضاً من الشعب اوقفوه . فظن جيلبار انهم دروا بسبب سفره فارادوا اللحاق به على ذلك الجواد ليمنعوه منه . فالتفت ليرى ما وراءه فابصرهم يقبضون على ذلك الجواد ويحيطون به من كل جانب

ذلك انهم جياع ويطلبون ذبحه ليأكلوه . فما لبثوا ان ذبحوه وسلخوه وقطعوه

وكان الملك في هذه الساعة يوقع على امرين . الاول للفتاة بائعة الازهار ومفاده جلب الخبز الى باريز والثاني للمسيو مودون رئيس المجمع الوطني ومفاده موافقة الملك على اللائحة التي سماها المجمع « حقوق الانسان »

وبعد توقيع الملك على الامر بجلب الخبز حسب النساء انهن نلن ما كنّ يطلبنه فاجتمع الف واحدة منهنّ وعدن مع بائعة الازهار الى باريز ومعهن امر الملك بجلب الخبز وهن يرفعنه في الهواء فوق الرؤوس ويهتفن للملك ابتهاجاً وسروراً

اما من بقي من النساء والرجال فانهم لبثوا حول القصر يزئرون كما تزئر الاسود في الغابات

واما جيلبار فانه ما زال مغذاً السير حتى ادرك لا فاييت وهو قادم مع جنده الى فرساليا كما مرّ بنا . فاطلعه الدكتور على التفاصيل التي مرّت واستعجله الى فرساليا لمساعدة

الملك فسار لافاييت مع جنده ركضاً

وكانت الملكة في ذلك الوقت تطلب من الملك ان يركب معها ومع ولديها مركبة و يسافر بهم الى رامبوليه اجتناباً لما عساه ان يحدث في فرساليا ولاسيما بعدوصول الباريزيين اليها لانها كانت قد علمت بسفرهم من باريز

فالتفت الملك الى دي شارني وساله ما رايك في السفر فقال شارني رايي انه موافق وغير موافق . موافق اذا كانت جلالتك تضمن انها تستطيع اجتياز الحدود في وقت قريب . وغيرموافق اذا كان غير ذلك

فقال الملك اذاً فالاحسن البقاء ههنا

قال ذلك لا لرغبته في الاقامة في فرساليا ولكن لعدم اقدامه على السفر منها

وما زال لافاييت سائراً حتى وصل الى قصر الملك وكان الهياج لا يزال سائداً . فدخل جيلبار مسرعاً وابلغ الملك خبر وصول لافاييت

وكان الملك لا يحب لا فاييت ولكنه لا يكرهه . اما الملكة فانها كانت تكرهه ولا تطيق رؤيته

ولذلك سكت الملك والملكة حين ابلغهما جيلبار خبر وصول هذا الرجل مع انه كان قادماً لانقاذهما

فاعاد جيلبار قوله ان الجنرال لافاييت قد حضر فهل للملك امر يصدره

فقال الملك حينئذٍ اشكروه من قبلي وقولوا له ان يدخل

و بعد برهة دخل لافاييت وكانت الملكة قد تنحت عن الملك واحاط بها ضباط القصر فلم يبقَ حول الملك الا جيلبار وشارني

فلمادخل لافاييت صاح صائح من حول الملكة

— قد اتى كرمويل

وكرمويل هو زعيم الثورة الانكليزية التي شبت نارها في عهدشارل الاول سنة ١٦٥٢ وهو الذي اعدم هذا الملك

فاجاب لافاييت . « ولكن كرمويل لم يات الملك شارل الاول منفرداً وحده »

واما الملك فانه التفت الى ذلك الضابط الذي قال عن لا فاييت ذلك القول ليرى من هو ذلك الجاهل الذي يسيء في تلك الاوقات الصعبة الى الذين يستطيعون نفع الملك والملكية . ثم التفت الملك الى دي شارني وقال . انني باقٍ هنا

ايها الكونت لان الجنرال لافاييت قد اتى فاصبحنا في امن من كل طارئ فقل للجند ان يرتدوا الى رامبوليه ودع الحرس الوطني يحرس خارج القصر والحرس الملكي يحرس داخله . اما انت ايها الجنرال فاتبعني ثم سار به وبالدكتور جيلبار الى غرفة مجاورة

وكان الشعب في تلك الساعة يضرم حريقة كبيرة ليشوي على نارها لحم الجواد الذي ذبحه ليسد بلحمه رمقه

الفصل العشرون

(الليلة الهائلة)

من ٥ الى ٦ اكتوبر سنة ١٧٨٩

وانقضى النصف الاول من تلك الليلة هادئاً ساكناً . وكان المجمع الوطني مهتماً بحوادث النهار وقد طالت جلسته الى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فارسل ساعتئذٍ من قبله حراساً ليطوفوا حول القصر ويفتقدوا الراحة والامن فعادوا وابلغوا المجلس ان النظام تام وكل شيءٍ في موضعه فتفرق الاعضاء مستريحي الخواطر

ولكن ما علموا انه عند صفو الليالي يحدث الكدر

فان ذلك السكون كان سكوناً غير طبيعي كالسكون الذي يتقدم الزوبعة اذ بعد اعمال المحركين في النهار جاءَت نوبة المحركين في الظلام

ذلك ان في كل الحركات الاجتماعية والثورات السياسية يوجد عاملان مستقلان الاول عامل الذين يديرون الحركة ويقصدون بها بلوغ غرض معلوم فمتى بلغوه اوقفوها والثاني عامل الذين ينتبهون عند حركة هولاء ولكنهم لا يقفون بوقوفهم بل يتقدمون مسرعين ويعملون اعمالاً ترتجف لها الابدان

الاولون يعملون الاعمال السياسية والاخرون يعملون الاعمال البربرية

وهكذا جرى في ذلك اليوم . فانه بعد منتصف الليل وصل الى فرساليا جماهير من العامة مائجة هائجة . كانها حيتان البحار خرجت من الاعماق الى سطح الماء تلتمس الجيف الطافية عليه . لقد حضرت هذه الجماهير سقوط الباستيل ولكن الباستيل حجارة لا تُنهب واما قصر الملك في فرساليا فهو ملآن بالنفائس والتحف الثمينة . لذلك اتت هذه الحيتان للنهب والسلب بعد الذين جاؤوا مستغثين مستنصفين

وكان القصر الملكي هادئاً ساكناً لا تُسمع فيه الا اصوات اقدام الحراس وقد نام

الملك من اول الليل واما الملكة فكانت مضطربة هائجة . وفيما هي داخلة الى قصرها عائدة من قصر الملك وجدت جورج دي شارني اخا الكونت دي شارني واقفاً يحرس الباب المؤدي الى غرفتها . وكان متاثراً مضطرباً فسالته الملكة كيف انت ايها البارون قال الشاب بخير ياسيدتي ومستعد لبذل حياتي في سبيلك فقالت واين الكونت اخوك قال هو الآن ساهر امام غرفة الملك لحراسته كما اسهر انا ههنا . قالت وزوجته اندري قال قد دخلت الى غرفة جلالتك وهي في الانتظار داخلاً

فمدت الملكة يدها الى الفتى قائلة شكراً لكم فان اسرتكم قد غمرتنا بالجميل . فاجاب الشاب ان اليوم الذي اسفك فيه ياسيدتي دمي فدى عنك فذلك يوم يكون سعيداً عندي

فكأن هذا الشاب كان يقرأ في صفحات الحوادث المستقبلة

ثم دخلت الملكة فوجدت اندري عندها فحيتها ولاطفتها ودخلت الى غرفتها . ثم انطفأت انوار القصر ونام كل من فيه غير الحراس كما ذكرنا

ولكن في الساعة الخامسة ونصف من ذلك الليل والجميع نيام في القصر سُمع في فنائه صوت طلق ناري قوي فدوت جوانب القصر كلها

وكان السبب في ذلك ان اربعمائة او خمسمائة صوت من الحيتان البشرية التي اشرنا اليها قصدت في تلك الساعة حاجز القصر وتسلقته بسرعة غريبة تفوق سرعة القرود وهي ساكتة مختلسة الخطى ورامت الدخول الى القصر اختلاساً فابصرها الحارس الذي كان واقفاً يحرس المكان فصوب بندقيته اليها واطلقها بينها

فدوى المكان لصوت البارود وسقط رجل من تلك الجماهير قتيلاً

فافترق حينئذ اولئك الناس فريقين وسارا ركضاً الواحد الى قصر الملك والثاني الى قصر الملكة

فلنتبع الفريق الاول

وكان امام غرفة الملك حارس واقفاً يحرس وهو يخطر ذهاباً واياباً . واذا به يسمع ضوضاء شديدة واصوات صعود على السلم فتقدم مسرعاً وبندقيته في يده فابصر بعيداً عنه قوماً راكضين وهم سكوت لا يتكلمون فصاح ملء فمه الصياح النظامي المالوف " من القادم " فلم يجبه احد. فصاح بصوت اقوى — من القادم . ثم صوب البندقية الى اولئك الصاعدين

ولكنه رأى ان صوت البارود في منزل الملك يقلق القصر كله فتناول سيفه وهجم قائلاً — ماذا تريدون ايها السادة

فاجاب بعض الصاعدين متهكمين — لاشيء لا شيء دعنا نمرّ فاننا من اصدقاء جلالته · فصاح الحارس ولكن من انتم

فلم يجبه حينئذٍ احد ولكن ضحك الجميع ضحكة هائلة ارتج لها المكان · فزاد الحارس هجوماً وسيفه في يده

فحدث حينئذٍ حادث مريع · امواج بشرية كانت صاعدة كالجبال على السلم وليس في وجهها غير رجل واحد يمنعها من المرور بضربات حامية

ولكن لم يطل هذا العراك حتى تنبه باقي حراس المكان فركض احدهم صارخاً — انجدوا انجدوا الكونت دي شارني

وكان الحارس الذي وقف في وجه الهاجمين هو الكونت دي شارني

فبادر الحراس الى مساعدته ولكن الملك كان قد استيقظ مرعوباً مدهوشاً فلما بلغه الخبر اصدر امره في الحال بان يدخل الحراس من وجه الهاجمين ويقفلوا الابواب

فاطاعوا وكان دي شارني آخر الداخلين

فاخذ الهاجمون يقرعون الباب ويضربونه بالفؤوس ليكسروه فامر دي شارني ان يوضع وراءه كل ما في المكان من الخزانات والمقاعد والمساند حتى اذا كسروه وجدوا وراءه منها باباً ثانياً

هذا ما جرى في قصر الملك · فلنتبع الآن الذين هاجموا قصر الملكة

فانهم ما وصلوا الى حيث كان الفتى جورج شارني واقفاً حتى صاح بهم الصياح المالوف «مَن القادم» ولما لم يجبه احد منهم فوق اليهم بندقيته واطلقها فسقط احدهم قتيلاً

فارتعد المكان وانتبهت النساء واندري من النوم ففتحت اندري الباب ومدت منه راسها وعليه الاصفرار ولوائح ثبات الجاش فرأت الفتى جورج وحده بين اولئك الذئاب وهو يدافعهم عن نفسه وعن الطريق مدافعة الاسود فصاح بها · مدام · ابلغي الملكة انهم يريدون الفتك بحياتها ثم خذيها واذهبا معاً من حيث تقدران فانني استطيع الثبات في وجوههم ولو قُتلت حتى تتمكنا من النجاة · اسرعا اسرعا

فاغلقت اندري الباب · ودخلت مسرعة فصاح جورج اقفليه جيداً واسرعا لئلا يفوت الوقت



جلالة السلطان الاعظم